رحلة مصري

الى فلسطين ولبنان وسورية

ومناظر المسجد الاقصى وجميع المشاهد الدينية والاثرية والعمرانية

بقلم

السيد عبد المؤمن كامل الحكيم

المحرر بجريدة الاهرام

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٣٤٢ ـ ١٩٢٤

المطبعة السلفية ـ بمصر



المؤلف

السيد عبد المؤمن كامل الحكيم

فهرس

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ✿ وسلام على سيدنا محمد وآله ✿ ومن اصطفاهم الله من عباده

أما بعد فقد رأيت في صيف العام الماضي أن أقوم برحلة الى فلسطين ولبنان وسورية ، ترويحاً للنفس ، وتمتيعاً لها بجمال الطبيعة التي بسطت جلالها على ربى تلك الديار ووهادها ، وتبركاً بزيارة ما فيها من الاماكن المقدسة ، وقضاءً لحق القومية والجوار ، بالاطلاع على هذه البلاد التي تعد شقيقة لمصر . فاستفدت من رحلتي هذه صحة ونشاطاً ، وازددت برؤية معاهدها الاثرية علماً وابتهاجاً

وقد اخترت لنفسي في هذه الرحلة طريق البر بالسكة الحديدية التي تخترق سيناء الى بيت المقدس ، وهي الطريق التي سلكها موسى عليه السلام بقومه ، واجتازها القواد والفاتحون ، وحمل فيها عمرو بن العاص رضي الله عنه مصباح الاسلام يوم جاء به الى هذا القطر السعيد . فمررت بالقنطرة في أوائل سبتمبر الماضي ، حتى اذا صرت في بيت المقدس لبثت فيها مدة اتبرك بزيارة المسجد الاقصى الذي بارك الله حوله ، وأتعهد قبور الانبياء والصالحين

ورأيت ـ وأنا أشاهد تلك المشاهد ذات الروح القدسية والروعة الاثرية الفنية ـ أن ارفع صوتي في هذه الرحلة بدعوة

اخواني المسلمين في مشارق الارض ومغاربها الى مساعدة المجلس الاسلامي الاعلى في القدس بعمارة المسجد الاقصى ومسجد الصخرة ، فكتبت بذلك رسائل الى الاهرام وصفت بها ما رأيته

ولما قضيت من زيارة الربوع القدسية بعض الوطر رحلت منها الى بيروت وغيرها من مدن لبنان ، ثم أممت دمشق عاصمة بني أمية ، تلك المدينة التي تفرّدت بقدمها وبقائها ، والتي قيل انها آخر ما يبقى من العمران حتى تكون للبشر محشراً

وفيما أنا من دمشق في ربوة ذات قرار ومعين انتهت المدة التي خصصتها لهذه الرحلة ، فعدت بقطار السكة الحجازية الى حيفا ومنها الى القاهرة حيث بلغتها يوم ١٢ اكتوبر سنة ١٩٢٣

وقد رأيت من واجبي أن أقتدي بسلفنا الصالح في تدوينهم رحلاتهم اذا ساروا في الارض ، فجمعت ما نشرته في الاهرام وأضفت اليه ما لا يحسن اغفاله من المعلومات التاريخية وغيرها ، فكان من هذا وذاك كتاب (رحلة مصري) الذى أضعه اليوم بين يدى القاريء راجياً أن يكون فيه النفع لمن يطلب أخبار تلك البلاد جارتنا وشقيقة بلادنا . والله الهادي الى سواء السبيل

القاهرة : ٢٠ رجب الفرد ١٣٤٢

عبد المؤمن كامل الحكيم

بين القاعة والجبل

اذا كان زميلى السيد عبد المؤمن قد رأى ـ والصواب فيما رأى ـ أن يدوّن رحلته الى فلسطين ولبنان وسورية فان سواد الناس يتعشقون قراءة الرحلات لأنها ضرب من الروايات : تنتقل بهم قراءتها من حال الى حال ، ومما يعرفون الى مايجهلون، ومن وصف يخالف سواه ، فضلاً عما تجمع من الفوائد المقتطفة مصوغة بايجاز لا يملّ ، مندمجة في ثنايا الروايات والحديث اندماج الافاويه اللذيذة بغيرها مما تصلح به الاجسام وتطيب النفوس

ولقد تفضل الزميل بزيارتي في جبل « تكاد تزلّ الطير عن جنباته »اخترته للاختلاء ، بالاهل والاقرباء ؛ وللبعد عن ضجيج الحياة وعجيجها ؛ لأرجع حيناً الى الطبيعة المجرّدة من كل مصطنع . والطبيعة المجردة عن الاصطناع لهي أمّنا نستمد منها القوة اذا ضعفت قوتنا ؛ ونجد في حجرها الراحة اذا عزّ وجودها وتولانا الكلل . . .

بعد تسع سنين في قاعة القراءة وغرفة الكتابة . . بين عواصف السياسة وهوجاء أخبار الحروب .. وتعذيب الرقابة .. وتهديد المحاكم العسكرية .. خارت القوى ، وتحرج الصدر ،

وعزّ الدواء الا الدواء الذي يستمد من الطبيعة . فيممتها في بلد انفتحت فيه العينان للنور ، وما كنت أظن أن صديقاً أو حرّيفاً بمصر يلقاني وألقاه في ذاك الجبل ، والطريق وعر والشقة بعيدة ؛ وان كانت الطبيعة تتجلى فيه بجلالها وجمالها ، وبهائها وروائها ؛ وانه لجمال وجلال لا يعرفهما الا من كان بعيداً عنهما أو فارقهما ، أو ليس ذا عهد بهما . فتلك الأودية الهابطة الى قاع الارض ، وتلك الجبال الصاعدة الى السحاب ، وتلك الأنجاد تتتابع وتتوالى ، وتلك الهضاب تهبط ثم تنبسط ، وتلك العيون تتدفق سلسبيلاً من الصخر والحجر ، وتلك الاشجار الباسقة ، والرياحين اليانعة ، والالوان المتباينة : من أحمر الى أخضر ، ومن أبيض الى اسود ؛ كل هذا وذاك يتملك اللب ويستأسر النفس ويستثير الهمم للتطلع الى الاستزادة مما وقعت عليه العين وانطبع في المخيلة ، حتى أن السائح أو الطائف بتلك الارض وجبالها ينشط فيستسهل الصعب وينهض فلا تعرف همته الكلل ، وهذا ما خفف عن حرّيفي صاحب الرحلة في تحمل المشاق حتى لقيته ساعة وصوله الي وهو طرب مسرور يحدثنا عما رأى وكأننا لم نره ، ويروي لنا ما سمع وكأنه لم يطرق مسامعنا ، ويدوّن ماعرف وكأنه طرفة من الطرف يهديها الى صحبه ومحبيه وكأنها باقة من الازاهير أو طاقة من الرياحين ، ويحث اخوانه

واصدقاءه ومعارفه وأهل وطنه على أن يرحلوا رحلته ويغنموا من جمال الطبيعة غنمه

واني في ذلك لعلى رأيه ، واني لأعتقد وأوقن بأن لبنان وجد لاعادة الصحة والعافية لمن انهكتهم المتاعب من المصريين أو لمن أضعفتهم الاسقام والامراض

واذا كان العسكريون قد قالوا « ان مصر مزرعة قلعتها سورية » فاني لأقول مع المرحوم حسن باشا محمود ــ الطبيب المصري المشهور وصاحب التآليف القيمة في علم الصحة ــ : « ان لبنان مصحّ مصر والمصريين »

فهناك لا يكون المصري غريباً عن بلاده في شيء من العادات والمناخ والمآكل واللغة والأهل ، بل يخيل اليه ــ اذا حل لبنان للاصطياف ــ أنه نقل داره الى جو صالح مقو ، والى ماء هو خير من كل دواء ، والى مناظر بهية ألقت عليها الطبيعة حلة العظمة مع اللطف ، والعزة مع الرفق ، والجلال مع الجمال

وهذا ما دعا صديقي وزميلي الى تدوين رحلته تحفةً للقراء بعد ما رأى البون العظيم بين القاعة يصمد فيها للعمل ، وبين الجبل يشرف منه على الدنيا وكأنه سيدها .

داود بركات

مقدمة

طلبنا الى حضرة الكاتب الجليل أنطون الجميل بك
تقديم رحلتنا الى القراء، فتفضل علينا بالمقدمة الآتية :

سافر حضرة الاديب الفاضل السيد عبد المؤمن كامل الحكيم أفندي، في الصيف الماضي، الى ربوع لبنان انتجاعاً للصحة. فزار في رحلته هذه البلاد الفلسطينية والسورية واللبنانية، وطاف بعض انحائها سائحاً متنزّهاً. ولكنه لم يفته درس أحوالها العمرانية والاقتصادية واستطلاع شؤونها الادبية والاجتماعية، فجمع بيانات شتّى عن تلك البلاد ودوّنها في محفوظاته. وقد طلب اليه، بعد عودته، الكثيرون من مواطنيه واخوانه أن ينشر بالطبع حديث تلك الرحلة تعميماً للفائدة وارشاداً لمن يزور تلك الانحاء. فلبى الطلب ووضع هذا الكتاب «رحلة مصري الى فلسطين ولبنان وسوريّة». وطلب اليَّ أن اقدّم الكتاب الى القراء. فلبيت الطلب كذلك عن طيبة خاطر، شكراً للمؤلف على ما توّخاه من الخدمة العامة ومشاركةً له في عمله النافع الرامي الى توثيق عرى التعارف والولاء بين القطرين الشقيقين : المصريّ والسوريّ

* * *

كان الكاتب — اذا ما اتيح له السفرُ من قطر الى قطر — يصرف جانباً من همه الى تدوين ما يشاهده من الحوادث والآثار وما يوحي اليه ذلك من الآراء والافكار ، ليكون في سفره فائدةٌ لغيره وليبقى عمله تذكرة للخلف بعهد السلف . ولا يزال ما عندنا من تلك الاسفار خير ما يرجع اليه في تعرّف أحوال الازمنة الغابرة ، وتبين أوصاف الامكنة الدارسة . ولا مجال هنا لذكر الرحلات الشهيرة التي قام بها الكتاب وتركوا لنا تفاصيل أخبارها من عهد هيرودتس في القرن الخامس قبل المسيح الى عهد أحمد فارس الشدياق في القرن الماضي

على أن الميل الى تسطير أخبار الرحلات قد ضعف في عصرنا. ولعلّ السبب في ذلك يرجع على الاخصّ الى سرعة السفر والانتقال ، إن براً أو بحراً . فالمسافر اليوم اما انه ينتقل في قطار الحديد فيطوي البيد والبقاع طياً ، مجتازاً مئات الفراسخ في نهاره ومثلها أو يزيد في ليله ؛ واما أن يسافر في سفن البخار فيقطع المسافات الشاسعة في البحار ، بين ليل ونهار . هذا اذا لم يركب بساط الريح ينتقل في بضع ساعات من الغرب الى الشرق أو من الجنوب الى الشمال . وهكذا يمرّ بالبلدان والاقطار مرور السهم أو هي تمر به مرور الخيال . فلا تختمر في نفسه عاطفة من العواطف التي تثيرها مناظر الطبيعة ولا يرتسم في مخيلته أثر من

الآثار ولا ينفسح لعقله درس مسألة من المسائل ؛ فسرعة السفر صارت كفيلة بطمس كل أثر

بل ان ما زاد في الاعراض عن تدوين الرحلات تلك العادة التي تفشت بين الناس وهي العدول عن التراسل المعروف الى تلك البطاقات البريدية المصورة المشهورة بالكارت بوستال . فيكتفي المسافر بأن يبعث الى أصدقائه وخلاّنه المتخلفين ببطاقة أو اكثر من تلك البطاقات مع كلمة شوق وتحية مكتوبة على عجل مستغنياً بها عن الرسائل المطولة التي كان يصف فيها مراحل سفره ومشاهداته وما يعنّ له من الافكار. وكثيراً ما كان يتألف من جمع تلك الرسائل سفر شامل لوصف الرحلة بجملتها

وهكذا نتج عن عجلة السفر وسرعة الانتقال واستخدام البطاقات البريدية في التراسل ندرة كتب الرحلات . ومن أجل ذلك نرحّب بكتاب « رحلة مصري » هذا ونثني على واضعه اطيب الثناء لانه احيي عادة الكتاب وتقاليدهم في وصف اسفارهم ورحلاتهم

اما تدوين هذه الرحلة فلا حاجة بنا الى الاسهاب في بيانه فهو بين ايدي القراء يتمتعون بما فيه من وصف وملاحظات وصور ورسوم تمثل لهم الاماكن التي زارها المؤلف خير تمثيل حتى يتصوروها بادية للعيان وهم لم يبرحوا مكانهم. بل ان هناك

كثيراً من الفصول تشوق القارىء الى الارتحال ليزور بنفسه تلك الربوع الجميلة فينعم بهوائها البليل ويرتوي بمائها السلسبيل

وقد توخى الكاتب في رواية رحلته ماعدا الوصف التاريخي والجغرافي غايةً ادبية اجتماعية مثل كلامه عن الجامع الاقصى في فلسطين والمهاجرة من لبنان والعوامل الواجب تمهدها لزيادة العلاقات والروابط بين تلك الشعوب المتجاورة التي تجمعها جامعة اللغة والتاريخ والتقاليد

ولا يجد القارىء في كل ذلك مايدعو الى الملل لان الكاتب لم يتعمد وضع دليل كامل للسياح ولا تدوين كل شاردة وواردة بل جمع فصول كتابه كما يجمع المسافر في الجبل ما يروقه من أزهار الحقول التي يستوقفه في طريقه زهاء لونها أو طيب عرفها فيؤلف منها باقة غير منسقة على منوال تجار الزهر ولكنها على كل حال باقة جميلة الالوان زكية الاريج . ولا شك أن القارىء الذي يرافق السيد عبد المؤمن في رحلته مشاركٌ لنا في ما نقول واليه ندع الحكم في ذلك

أما كلمة الشكر له فواجبة على المصريين الذين وضع لهم هذا الكتاب وجوبها على الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين الذين أراد تعريف بلادهم واذاعة الطيب من مآثرها والعظيم من آثارها . ولا ريب في أن هذا الكتاب رابطة جديدة من

الروابط المديدة التي تربط سكان القطرين المتصافحين من فوق قناة السويس لان الغاية من وضعه الترغيب في التزاور والتعارف بين الشعبين . ونعم الغاية وحبذا كل من يعمل على تحقيقها ما؟

القاهرة فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٤

انطون الجميّل

كلمة

الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار

الاستاذ بالجامعة المصرية وبدار العلوم

تصفحت كتاب (رحلة مصري الى فلسطين ولبنان وسورية) فنزهت نظري وخاطرى في روض انيق قد صيغ بلفظ رشيق . ولم أغبط صديقى عبد المؤمن أفندي كامل الحكيم على أن متع ناظره بتلك المناظر وصقل خاطره بمشاهدة تلك المشاهد غبطتي له على أن وفق لجمع هذا الكتاب الممتع الذي يجمع بين اللذة والفائدة ، فهو ينقل القاريء من وصف المصانع الشامخة والعمائر الباذخة الى تصوير الطرق والمعابر ، والقرى والدساكر . ومن استعراض الجبال المخضلة ذات الربى الى السهول اليانعة الزرع ، ومن آثار قديمة الى مصانع حديثة ، ومن فنادق آهلة بزوارها الى أسواق مكتظة بقصادها وعمارها . الى غير ذلك من سكك

الحديد والعربات والسيارات وما يطلب اداؤه من الاثمان والاجور . وحبذا لو اقتدى السياح من المصريين بصديقى عبد المؤمن افندي كامل الحكيم فوضعوا لرحلاتهم المختلفة كتبا تضمن ما شاهدوا وما وقفوا عليه من آثار الامم في بلاد الحضارة ، فان ذلك يكسب اللغة والبلاد ثروة علمية وتاريخية وادبية لا تقدر

نسأل الله ان ينفع بهذا الكتاب كل من نظر فيه انه سميع الدعاء ؟

عبد الوهاب
النجار

في طريق القدس

الطريق من القنطرة الى القدس . وصف الصحراء . غزة بعد الحرب
غزة في التاريخ العربي . اللد والرملة وشيء من تاريخهما
حالة السكان الزراعية والري . القوة بالاتحاد
مصايف لبنان . ثورة شرق الاردن
محطات الطريق الى القدس

يقصد المسافر الى القدس الشريف عن طريق البر (محطة القنطرة الغربية) وبعد ان يمر من الجمرك يجتاز قناة السويس في صندل عتيق مدة نصف ساعة ـ مع ان عرض القناة ٤٥ مترا ـ وهذا الصندل لا يليق ان تتخذه مصلحة السكة الحديدية قنطرة للركاب لقذارته وضئالة نوره وبطء سيره . فاذا وصل الراكب الى محطة القنطرة الشرقية وجد انها محطة غربية في كل شيء لاشبيه لها في مصر على الاطلاق . ويشعر المصري انه في محطة انكليزية بانكلترا مع انها في أرض مصرية ، لكثرة من فيها من الاجانب ، ولان الكلمات المكتوبة على مدخل المحطة بالانكليزية والعربية

فاذا استوى الراكب على مقعده طلب منه جواز السفر . وبعد الاطلاع عليه يختم بخاتم يتضمن عبارة معناها انه رخص له بالدخول الى فلسطين . ثم توجه الى الراكب بعض اسئلة عن سبب سفره الى فلسطين ، وهل هو للزيارة أو للتجارة أو

للمهاجرة . وتعطى له عـدة اوراق باللغات الثلاث الانكليزية والعربية والعبرانية تتضمن تعليمات صحية . فاذا تمت هذه المعاملات يبقى الركاب في مقاعدهم حتى يحين موعد قيام القطار بعد انتصاف الليل بدقيقة واحدة ! فاذا دق الجرس انساب القطار في الصحراء الشرقية ـ أو صحراء التيه كما يسميها رجال التاريخ ـ وهي اشبه بصحراء لوبيا في عدم وجود الماء الكثير بها ، ولكنها لاتخلو من الآبار والعيون في بعض المواقع . وهي ضيقة وتختلف عن تلك بوجود سلسلة جبال وعرة مرتفعة تمر في وسطها ولا يستطيع المسافر فتح نوافذ المركبة ، خوفا من الغبار الرملي والجير الذي يتناثر من حجر الجير أو من رمال الصحراء ، وهو ناعم كالدقيق ويستمر الحال كذلك حتى (غزة) . والوصول اليها في الساعة الخامسة صباحا

وعلمت من بعض الركاب ان فى هذه الصحراء عدة آبار ترى عندها اكواخ صغيرة للاعراب الرحل الذين يشتغلون بتربية الابل والماعز وبعض البقر ويعيشون من اوبارها والبانها ولحومها. ويشتغل بعضهم بصنع الفحم من شجر العداء أو السنط

* * *

وعلى ذكر غزة نقول : انها اصيبت بكثير من اضرار الحرب . فقد تهدم اكثر مساكنها وضاعت معالم مسجدها العتيق

وغارت أو فسدت بعض الآبار فيها . وكانت اصابة المسجد من القنابل البريطانية وقت الهجوم على غزة . والسبب في اطلاق القنابل عليه على خلاف العادة ان الالمان جعلوه مخزنا للذخائر الحربية . كما اصيب اكثر اهلها بنكبات كثيرة . فالغني منهم اصبح وسطا والوسط اصبح فقيراً والفقير زال من الوجود ، اما بالموت جوعا أو لانه هاجر فمات أو انقطعت اخباره . والذي يقال عن غزة يقال عن بعض القرى التي كانت ملحقة بها

* * *

ومدينة غزة هذه فتحها عمرو بن العاص في خلافة أبي بكر رضي الله عنهما . وللعرب فيها شان قبل الاسلام وبعده . وكانت من البلاد التي ترحل اليها قريش رحلة الصيف التي ذكرها الله في كتابه . وكان لهم فيها منازل ومواطن مذكورة في أشعارهم . وبها مدفن هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم . وقد رثاه مطرود بن كعب الخزاعي وذكر غزة فقال :

مات الندي بالشام لما أن ثوى فيه بغزة هاشمٌ لا يبعدِ
لا يبعدن رب القناة يعوده عود السقيم يجود بين العوّد
محقانه ردم لمن ينتابه والنصر منه باللسان وباليد

وصارت من أجل ذلك تدعى (غزة هاشم) ، وذكرها أبو نواس شاعر الدولة العباسية بهذا الاسم فقال :

طوالب بالركبان (غزة هاشم) وبالفرما من حاجهنّ شقور

وفي غزة كان مولد الامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي المطلبي رضي الله عنه . ويروى له في ذكرها :

واني لمشتاق الى أرض غزة وان خانني بعد التفرق كتماني
سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها كحلت به من شدة الشوق أجفاني

ويظن أن العرب مصرت هذا المصر قبـل الاسلام وسمته باسم بقعة لهم في بلاد بنى سعد بن زيد مناة بن تميم

* * *

فاذا ترك القطار (المجدل) لايشعر الراكب بشيء من الغبار لان الارض تنبسط نوعا بعد وعورتها ويرى الزرع على هضبات من الارض أو في منحدرات منها وترى الفلاح الفلسطيني بقميصه وسرواله و « بشته » ـ عبارة عن جبة قصيرة من الصوف ـ وهو يحرث الارض ويسوق الحمير وعليها السباخ في « اغبطة » أو الخضر لبيعها في الاسواق ، اسـوة باخيه الفلاح المصري سواء بسواء . وترى الفلاحة الفلسطينية وهى تحمل على رأسها المشنات بالفاكهة أوالطماطم والقرع أوالزق باللبن أو السلة بالبيض أو الجبن في قصع من الجلد ، اسوة باختها الفلاحة المصرية وهي تسير خلف الحمار الذي يحمل زوجها الى بلد آخر أو الى المزرعة. وكذلك الحال في بعض قرى مصر، وتلك سنة لاتزال قائمة عاملة

بين سكان بعض القرى لا تزول حتى يهدمها التعليم ويعرف الرجل ان للمرأة حقوقا أهمها الرفق بها

* * *

يرى الراكب بين المجدل واشدود ويبنة اشجار الزيتون الكثيرة والبرتقال واللوز . ومن الغريب هنا ان شجر اللوز يطعم بغصون المشمش بعد جنى ثمره فيتحول شجر اللوز الى مشمش ! ويأتي بمحصول وافر ويجفف ويصنع منه « قمر الدين » وبين كل مزرعة واخرى يرى ان القرى تشبه قرى البحيرة كما ان بعض المساكن اشبه بقرى ابو حمص وكفر الدوار . فاذا وصل القطار الى محطة « الخبوط » وهو اسم جديد اطلق عليها من وقت ان كثر الاستعمار الصهيوني بها وكان اسمها منذ ايام العرب « ديران » ترتفع الارض وتكثر المنحدرات وتوجد مساكن اليهود بكثرة وامامها النساء وبجوارها معامل الالبان والزبدة . فاذا وصل القطار الى محطة بير يعقوب يقع النظر على بلدة جميلة منازلها منعزلة على رءوس الجبال ، وهي أشبه بار كويت في مديرية سواكن . والظاهر انها خصصت لمصايف اليهود وبعض الانكليز . وبين بئر يعقوب واللد توجد المعسكرات الانجليزية داخل المزارع والحدائق ، وكذلك يوجد معسكر الطيران . وفي الساعة ٦ والدقيقة ٣٥ صباحا وصل القطار الى اللد المعروفة في

كتب التاريخ العربية بلفظ « لدّ » وهي محطة كبيرة تتفرع منها الخطوط الحديدية ليافا والقدس وحيفا والشام

والكتابة عليها باللغات الثلاث التي مر ذكرها وكذلك الحال في جميع محطات فلسطين وشوارع القدس . والمحلات العمومية فيها خصوصاً في شوارع يافا

ومن تقاليد السكان المسلمين أن عيسى بن مريم عليه السلام اذا خرج في آخر الزمان يدرك الدجال بباب لد فيقتله . وقد ذكرت لد في شعر جميل صاحب بثينة حيث يقول :

تذكر أنساً من بثينة ذا القلبُ   وبثنة ذكراها لذي شجن نصب
وحنت قلوصي فاستمعت لسجرها   برملة لدّ وهي مثنية تحبو

وقال فيها المعلى بن طريف مولى المهدى أمير المؤمنين :

ياصاح اني قد حججت   وزرت بيت المقدس
وأتيت لدّا عامداً   في غير مأوى سرخس
فرأيت فيه نسوة   مثل الظباء الكنس

ولد هذه نزلها سليمان بن عبد الملك حينما ولي فلسطين من قبل الوليد بن عبد الملك ثم أحدث مدينة الرملة ومصرها وكان أول مابنى فيها قصره والدار التي كانت تعرف قديماً بدار الصباغين وجعل في الدار صهريجاً متوسطاً لها ثم اختط للمسجد خطة وبناه فولى الخلافة قبل استتمامه ثم بنى فيه بعد في خلافته ثم اتمه عمر

ابن عبد العزيز

ولما بنى سليمان لنفسه اذن للناس في البناء فبنوا واحتفر لاهل الرملة قناتهم التي تدعى بردة واحتفر آبارا ولم تكن مدينة الرملة قبل سليمان بن عبد الملك وكان موضعها رملة

وذكر كثير عزة الرملة هذه مضافة الى لد في قوله :

حموا منزل الاملاك من مرج راهط ورملة لد أن تباح سهولها

وفي الرملة مدفن ابن ابى الحسن التهامي الشاعر ، وكان أقام بها وصار خطيبها ، وذكرها في رثائه ابنه فقال :

أبا الفضل طال الليل أم خانني صبري فخيل لي أن الكواكب لا تسري
أرى (الرملة) البيضاء بعدك أظلمت فدهري ليل ليس يفضى الى فجر
وما ذاك الا ان فيه وديعة أبى ربها أن تسترد الى الحشر
بنفسي هلال كنت أرجو تمامه فعاجله المقدار في غرة الشهر

* * *

انتقلنا من القطار الى قطار القدس فسار بنا اليها في الساعة السابعة تماما فكانت المسافة بين القنطرة واللد ٦ ساعات و٣٤ دقيقة يضاف اليها ساعتان ونصف الى القدس · لان القطار يصل اليها في منتصف الساعة العاشرة صباحا . ووقف القطار بنا في محطة الرملة وهي مركز مديرية تابعة لقضاء الخليل . هاجر اليهود اليها كما هاجروا الى البلاد المجاورة لها واطلقوا على واد بجوارها

اسم « عرتوف » وأسسوا فيه عدة شركات صهيونية لاستثمار الارض وتربية البقر والاغنام والماعز . ولم يجد الاهالى صدّا لهذا التيار الا وقف أراضيهم والامتناع عن بيعها ولو بأضعاف أضعاف ثمنها كما حدث لرجل في القدس دفع له في ضيعة مبلغ ١٠ آلاف جنيه فرفض بيعها مع انه مثقل بالديون وفي حاجة الى ٢٠٠٠ جنيه ليسد بها ديونه ولكنه فضل الحاجة والمقاضاة على بيع أرضه للمستعمرين

أما الري فأكثره على الشتاء ، أو من العيون . وطريقة سقى الزرع ان المرأة الفلسطينية في ضواحي القدس تملأ « التنكات » وتمر على النبات أو الشجر فتسقيه كطريقة سقى الشجر في شوارع القاهرة . تعمل ذلك وهي مسرورة بنتيجة عملها وبنجاح زرعها . وتكرر هذا العمل طول النهار . وفي بعض الاحيان يساعدها الرجل . وهناك بعض السواقي ولكنها قليلة لاتذكر

أما الاتحاد بين سكان فلسطين فحدث عنه ولاحرج . لافرق بين مسلم ونصرانى بل الجميع في العاطفة سواء . تقرأ على أبواب المسجد الاقصى بخط لطيف « القوة بالاتحاد ، والمجد بالعلم » وتجدها كذلك مكتوبة على ابواب الكنائس والبيع ، وتسمع انشودة من « الطقاطيق » التي يتغنون بها في مصر « يا الله نحب

بعضنا » تسمعها بنغمة مليحة من الصبي والكهل والشيخ ومن الحمّار والتاجر . وسمعتها كذلك من يهودى من يهود فلسطين، وهم متحدون مع اخوانهم السكان ، وكلهم ضد الاستعمار. ولهذه الانشودة خواص عجيبة غريبة لايحس بها الا من رأى الفرقة بين قومه لمسائل تافهة لاتجوز الفرقة بسببها ، ورأى الاتحاد يسود بين سكان هذه البلاد

يوجد في فلسطين بقايا قساطل خزفية واخربة تدل على ابنية قديمة واساسات يرجح انها ترجع الى ماقبل الميلاد . وما أظن ان في فلسطين ادارة للعاديات

واجور الفنادق في القدس مرتفعة جداً : ففندق مرقس مثلا يتقاضى جنيهاً مصرياً في اليوم وكذلك فندق النبى وهو في شارع يافا ويتقاضى فندق ماريوحنا ٨٠ قرشاً . وهذا الفندق من أوسع الفنادق وأحسنها انظمة ، وهو امام القبر المقدس وبجوار مسجد عمر . ولوكانت انظمته في الطعام والخدمة مثل فندق مرقس لكان من غير شك من أفخم فنادق القدس .وهناك فنادق اخرى ولكنها في الدرجة الثانية . وبالقدس محلات كبيرة للنزهة . وبها « بوزه » كبير وهو أشبه ببار من البارات الخلوية ولكن الاثمان فيه مرتفعة ولذلك تجد أن زواره اقلية . وفي الشارع المذكور محلات جديدة يديرها بعض الروسيات

اللأبي هبطن الى القدس بعد الحرب . هذا الشارع الطويل يحتاج الى اصلاح كبير وعناية هامة

* * *

وقد سمعت من بعض الفلسطينيين ثناء على شركة مصايف لبنان لانها تجلب لهم الزوار من مصر ومن الاقطار الاخرى فتسعد البلاد بنقودهم ولان عمالها يقومون بالواجب عليهم في نقل الامتعة وارشاد الزوار الى الاماكن الحسنة والمحلات الآمنة وانها كانت السبب في وصول « الاهرام » اليهم بسرعة فيقرأون فيها أخبار مصر المحبوبة عندهم بعد صدورها بليلة

* * *

وقبل قيامي من الفندق الذي كنت به للسفر الى بيروت سمعت حركة في التليفون ورأيت بعض الجند يطلبون بعض أعيان الكرك والسلط الذين كانوا في الفندق الى مقابلة الضابط في السراي وسمعت أن الاعراب الثائرين قطعوا أسلاك التليفون في شرق الاردن وان حكومة الامير عبد الله أطلقت القنابل على الثائرين . وشاهدت بعد ذلك بعض السيارات الانكليزية تشحن في القطار وعليها الجنود وبعض المدافع الرشاشة وسألت عن السبب فعلمت أنها موجهة الى ما وراء الاردن للاسباب التي وردت في الاهرام في باب « السياسة اليوم » في ١٩ و ٢٠ سبتمبر

الحالى ولا داعي لتكرارها . نسأل الله صلاح الحال

* * *

وهذه أسماء المحطات التي يمر عليها القطار من القنطرة الشرقية الى القدس يوميا ماعدا أيام الآحاد :

	دقيقه	ساعة قيام صباحاً
القنطرة الشرقية	١	١٢
روماني	٤٨	١٢
خربة	١٥	١
بئر العبد	٣١	١
مزار	١٤	٢
العريش	٣٥	٣
جابر أمير	٣٨	٣
رفح	٣	٤
خان يونس	٢٧	٤
دير بلح	٣٤	٤
غزة	٣	٥
دير سنيد	٦	٥
مجدل	١٣	٥
اشدود	٤٨	٥
يبنة	٧	٦

	دقيقة	ساعة	
[illegible]	١٥	٦	
[illegible]	٢٣	٦	
[illegible]	٣٠	٦	وصول
[illegible]	٥٢	٦	قيام
[illegible]	٥٩	٦	
[illegible]	٩	٧	
[illegible]	٣١	٧	
[illegible]	٣٨	٧	
[illegible]	١٠	٨	
[illegible]	[illegible]	٨	
[illegible]	٠٠	٩	

[illegible] صار ترتفع السكة الحديدية [illegible] . وتستمر [illegible] ثم ينتهي الصعود [illegible] حتى ينتهي في [illegible]

المسجد الاقصى وعمارته

دعوة الى المسلمين كافة

متى وصـل المسافر في طريق القدس الى « واديِ صرار » مستقبلا بيت المقدس ، موجهاً وجهه نحو قبلة المسجد الاقصى تنفعل نفسه انفعالات شتّى ، مرجعها الى طبيعة الارض التي بارك الله حولها . وقد ورد في القرآن الـكريم « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله »

يرى الراكب ـ في القطار ـ الجبال الـكثيرة السامقة وعليها الشجر القائم من الزيتون والاراك والتين والبرتقال والليمون . ويرى العنب بين طيات الجبال ومرتفعاتها على أبواب المغارات أو في انفاق بعيدة ترتفع عنها السكة الحديدية بخمسين من الامتار أو أكثر من ذلك . ويرى ان الجبال الصفر والسود والفرابيب من الارض مورد رزق لاهل « دير الشيخ » وسكان « بتير » وسكان « القدس » والبلاد المجاورة لها . ويرى الخضر على اختلاف اشكالها تنبت وتثمر في احواض من الارض تكتنفها الجبال . ويرى الزراع يحرثون الارض وهي غير مستوية ويقيمون عليها « البتون » وهي كلمة اصطلح عليها الزراع في

الوجه البحري بدلا من كلمة الحد أو الحدود . حتى لا يتسرب الماء منها الى الزراعة التي بجوارها أو أسفل منها . ويرى الرجال يملأون الروايا أو « التنكات » من الآبار يبيعونها لسكان المدينة ويرى النساء والبنات وهن يحملن المشنات بالخضر أو الفاكهة على رءوسهن . كل ذلك من هذه الارض التي باركها الله

فاذا قربت من مدخل المدينة وجدت العمارات الجديدة التي بناها اليهود القادمون ـ بعد الحرب الكبرى أو قبل نهايتها ـ من انجلترا واميركا والروسيا وپولونيا وايطاليا. وهي عمارات أنفقت عليها أموال وجهود كثيرة

فاذا أشرفت على المدينة ولاحت لك منارات المسجد الاقصى وقباب مسجد الصخرة وكنيسة القيامة والاماكن المقدسة ثار في نفسك ثائر ذكرى ذلك المجد العربي القديم . ذكرى خروج أهل مكة والطائف وهوازن وقبائل اليمن من بلادهم تحت امرة الفاتح المظيم عمرو بن العاص بوصية من الخليفة أبي بكر الصديق جاء فيها :

« اتق الله في سرك وعلانيتك ، واستحيه في خلواتك ، فانه يراك في عملك . وقد رأيت تقدمي لك على من هم أقدم منك سابقة ، وأقدم حرمة . فكن من عمال الآخرة ، وأرد بعملك وجه الله . واسلك طريق ايلياء ، حتى تنتهي الى أرض فلسطين

واياك ان تكون وانياً عما ندبتك اليه ، واياك والوهن ، واياك ان تقول جعلني ابن أبي قحافة في نحر العدو ، ولا قوة لي به . واعلم ياعمرو ان معك المهاجرين والانصار من أهل بدر ، فأكرمهم واعرف حقهم ، ولا تتطاول عليهم بسلطانك ، ولا تداخلك نخوة الشيطان فتقول انما ولاني أبو بكر لاني خيرهم . الخ الخ »

نزلنا من القطار الى محطة القدس التي بناها الاتراك قبل الحرب ، وكان في استقبالي من محطة « بتير » مندوب شركة مصايف لبنان . وبعد ان نقل المتاع ركبنا عربة صعدت بنا في طريق صعب المرتقى ، حتى استوينا على طريق ممهدة امام باب القلعة التي بناها السلطان سليمان القانوني وهذا الباب أشبه بباب الفتوح في سور القاهرة ، وخرجنا منه الى الفندق . وبعد ان استرحت قصدت الى المسجد الاقصى ، وسلكت من طريق مسقوف منحدر ومبلط بالحجر الصغير وهو سوق البلد وهو يشبه سوق الفحامين وشارع التربيعة والحمزاوي ويقرب من خان الخليلي في مصر أو قصبة رضوان في بعض اجزائه والسالك الى المسجد يرى الطريق مزدحماً بالناس من الامم المختلفة في اللون والشكل والملابس ويعرف منهم أهل الخليل والقدس بملابسهم وعمائمهم . فاذا وصلت بعد هذا الانحدار الكثير الى سبيل

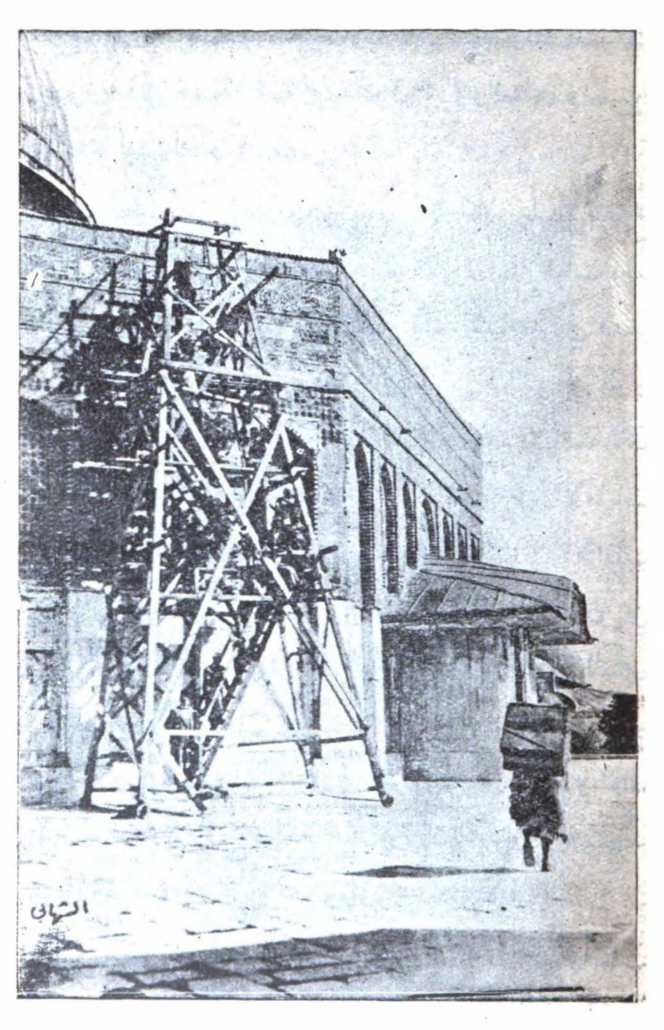
السلطان سليمان الموجود على باب من أبواب المسجد وجدت طائفة كبيرة من السائلين لا يسألون الناس الحافا

دخلنا ذلك الفناء الرحب الذي يجتمع فيه لصلاة الجمعة جميع المسلمين من سكان القدس والبلاد المجاورة . فما هي الا نظرة الى مانحن فيه والتفاتة الى ذكرى مامضى من الاثر ، حتى يمتلىء القلب هيبة وتخشع النفس وتذرف العين الدموع

* * *

وصلت قبل ازدحام المسجد بالمصلين وتخطيت الصفوف حتى وصلت الى المنبر ونظرت الى الجنوب فماذا وجدت ؟ وجدت نحو نصف هذا المسجد الأثري المنعدم النظير مسدودا بالواح من الخشب ، ونظرت من شقوقها فوجدت البواكي الجميلة (وسأصفها فيما بعد) مصلوبة على أعمدة من الخشب لتقيها شر السقوط . والسكينة مخيمة على هذا الجزء من المسجد فتزيده هيبة . مع ان هذا المسجد هو المصلى الوحيد لاهل القدس وقاصديها من بلاد العالم ، فان الاهالي لا يستطيعون عمارته دون معونة تأتيهم من الخارج

أدينا النوافل وسمعنا قارئاً مصرياً يقرأ سورة الكهف بصوت جميل وبجانبه جلس قراء المسجد من الاشراف ينتظرون وقت الاذان ليقوموا بالدعاء للمسلمين ولولاتهم وللمحسنين منهم



أعمال الترميم في جدار مقام الصخرة الشريفة

ولمن يتبرع بعمارة المسجد، ثم يصلون على النبي وآله باصوات مليحة جهورية قبل خطبة الجمعة ثم يدعون لحمزة والعباس والحسن والحسين ـ مما ليس له اثر في مصر

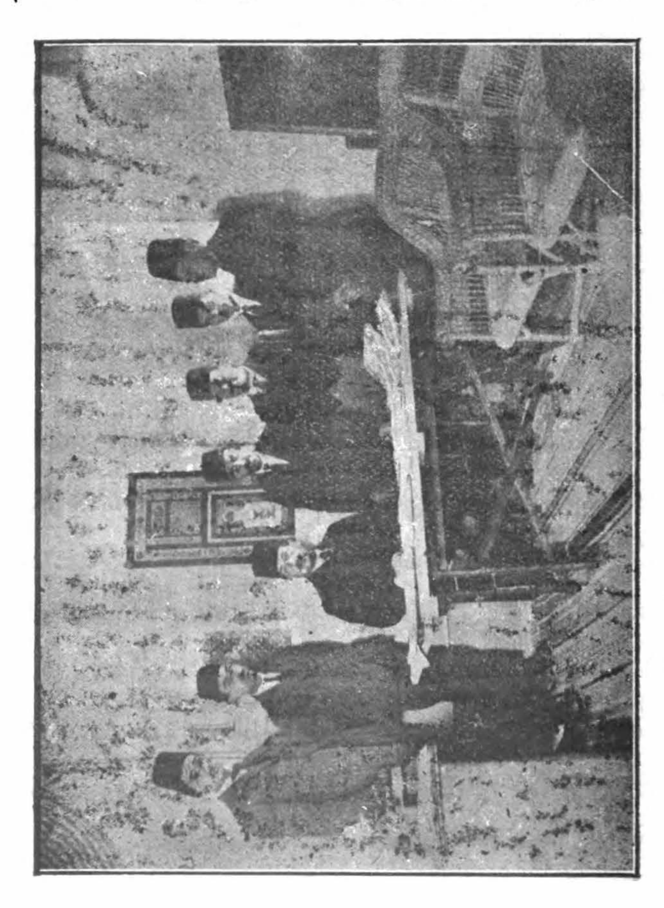
وصعد الخطيب على المنبر وهو يلبس كما كان يلبس مشايخ السادات في مصر قبل ان تزول آثار هذه الطريقة . وخطب بعد أن حمد الله وصلى على النبي لاكخطبة ائمة المساجد في مصر المشتملة على الفاظ محفوظة في الوعد والوعيد بل ضرب على الوتر الحساس وأوصى الناس بالاتحاد وعدم التفرقة وجمع الكلمة لان الفرقة سلاح العدو. وأوصى الناس بتبادل الثقة وتأدية الامانات الى أهلها والتعاون على البر والتقوى وعدم التنابز بالالقاب وان لا يأكل أحدهم لحم أخيه ؛ وكلمات أخرى تنفع الناس في معاشهم ومعادهم . ثم ذكرهم بعمارة المسجد الاقصى ودعوة الناس اليه في أقطار العالم فقال :

« أيها الرجل قم ودبر المال لعمارة هذا المسجد . نعم دبر المال لاجل مصلاك هذا كي تربح وتغنم فانه ثاني القبلتين والا فستجد في المستقبل القريب جدرانه تشكو الى الله بخل الانسان

اخاطب معاشر المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وأطلب منهم التصدق ببعض اموالهم لعمارة المسجد الحرام . وأقول للبخيل منهم الى متى هذا البخل عن مد يد المساعدة لاصلاح

هذه الجوهرة اليتيمة ، فالركعة هنا كما تعلمون بثواب ٥٠٠ ركعة في مساجد أخرى

فلاجل ذلك الثواب يحق لنا ان ننظر نظرة شفقة واقدام



اللجنة الفنية الهندسية لعمارة الحرم القدسي

فنتدبر في جمع مايلزم من مال واجتماع وحث المسلمين على جمع الاموال والاعانات من مصر ومن سائر الاقطار . وبذلك أيها المسلمون يرضى الرب ويتجدد هذا المسجد »

ولما قضيت الصلاة عدت الى الفندق وأنا متأثر من بكاء الناس وأقول : يالله ما افعل الاعتقاد في القلوب . وتمنيت ان يذكر الواقفون في اوقافهم والمتصرفون في صدقاتهم ورجال وزارة الاوقاف في مصر ورجال الدولة فيها وولاة أمورها بر المسجد الاقصى ومراعاة علمائه والتبرع بشيء من الاموال لعمارته . ويكفى ان التبرع هو لعمارة المسجد الاقصى

فلسطين والخليفة

كانت فلسطين قد أوفدت الى الاستانة وفدا للسعي في لفت انظار مسلمي تركيا الى تجديد ما تداعي من بناء المسجد الاقصى وذلك كالوفود الاخرى التي أوفدتها الى بعض الاقطار الاسلامية. وان الرجل الذي اعتمده المجلس الاسلامي الاعلى في القدس لاداء هذه المهمة في الاستانة هو عبد اللطيف بك صلاح أحد أفاضل فلسطين واماثلها . فزار حضرة الخليفة في قصر ضولمة باغجة ورفع له مجموعة صور أولى القبلتين وثالث الحرمين وقدم له قطعة من خشب قبة المسجد وذكر له الحاجة الماسة الى تعميره واصلاحه وقرار المجلس الاعلى فى فلسطين المتعلق

بمشروع التعمير والاصلاح . ثم رجا من حضرة الخليفة اعلان دعوة رسمية لمساعدة هذا المشروع . فلقي من مقام الخلافة كل تشجيع وتأييد . ومما قاله حضرة الخليفة :

« ان هذه الغاية التي تسمون اليها جميلة ومقدسة . واعدّ فألا حسناً أن تكون مؤازرتي لكم فيها فاتحة اعمالي . وسأصدر منشوراً بالحث على معاونتكم في تعمير هذا المسجد فاجعل فاتحته آية « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله » فاكون قد وفيت بذلك وظيفتي الدينية . وأهنيء أعضاء المجلس الاسلامي الاعلى بما أظهروه من حسن التدبير والسياسة ورجوعهم في هذا الامر الى مقام الخلافة وبيان ارتباطهم به . واكرر لكم تفاؤلي بهذا العمل . فبشروا بذلك مسلمي فلسطين ومصر »

وقد مضى على نشر هذا التصريح في صحف الاستانة عدة أشهر ومع ذلك فان المنشور الذي وعد حضرة الخليفة بنشره لم يظهر بعد . ولعل هنالك موانع حالت بين حضرة وبين اذاعة هذا المنشور

* * *

يدعو أهل فلسطين في خطبة الجمعة باسم حضرة الخليفة عبد المجيد بعد نعته ويقولون عنه انه خادم الحرمين الشريفين ويقلدهم

أهالي بيروت . أما أهالى دمشق فيكتفون بالدعاء للخليفة ولجميع ملوك المسلمين بدون ذكر اسم أحد منهم . وعلمت من أخبار حلب انهم يذكرون الخليفة بالاسم ويدعون له بالخير والتأييد

* * *

الجمعيات الخيرية المسيحية

المسجد الاقصى ومسجد الصخرة

المحاماة في فلسطين

أصيب أهالي فلسطين ولبنان والشام أثناء الحرب الأخيرة بمصائب كثيرة تساقط بسببها مئات وألوف من الابرياء مصابين بالجوع الذي نشأ من نقل الاقوات من هذه الولايات الى المانيا أو بسبب المحن التي أصيبوا بها وهي كثيرة . فلجأ بعض المنكوبين في القدس الشريف الى الملاجئ والمعاهد الخيرية فانقذتهم من الموت واعادت اليهم الحياة بعد أن يئسوا من الرحمة ووزعت عليهم الخبز والادام وعالجتهم من الامراض التى نشأت من سوء الغذاء . وكذلك لجأ بعض الناس في بيروت الى ملاجئ العجزة التي يديرها الاميركان والطوائف المسيحية ، فواستهم بعض المواساة وكان من وراء ذلك اعتراف الناس بالفضل لذويه ولازال بعضهم يذكر هذه المبرة بالشكر والدعاء للمحسنين ولم يجد أهالي

لبنان والولايات الأخرى ماوجده بعض أهالي القدس وبيروت فمات اكثرهم من الجوع في المدن أو في طريق الجبال

يرى الزائر للقدس الشريف معاهد الخير منتشرة في أحسن واصح نقطة في المدينة أسستها الدول المسيحية أو الاغنياء منهم الذين عملوا بوصايا دينهم . وعرفوا أن الانسان لايعيش لنفسه بل يعيش لسواه وعملوا بقول أبي العلاء المعرى :

ولو اني حبيت الخلد فردا لما أحببت بالخلد انفرادا

فانشأوا هذه المعاهد وعززوها بالملاجيء وبدور العجزة حبا في منفعة سكان القدس من الطوائف المسيحية اولا ثم باقى السكان من المسلمين واليهود ثانياً . ويرى الزائر ملاجيء كثيرة لايواء الغرباء من زوار القبر المقدس واطعامهم واكثرها للاميركان ثم طوائف اللاتين ثم الارثوذكس من الروس والاروام والارمن والالمانيين والنمساويين والايطاليين ويرى عيادات طبية. ولليهود كذلك محلات خيرية للتعليم وملاجيء للعجزة ويوجد في المدينة عدة مستشفيات داخل قصور فخمة للعلاج واسعاف المرضى والوالدات وعمل العمليات الجراحية يحيط بها حدائق غناء ولهذه الملاجيء والمعاهد والمستشفيات ايرادات ثابتة من غلة بعض الاراضى الموقوفة ومن التبرعات والاعانات المستمرة ولها ادارات تشرف عليها وتحافظ على كيانها

ومما يؤسف له انك مهما قلبت نظرك في هذه المدينة التي هي أحق بعطف المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، لانها مهبط الرحمة ومبعث الانبياء والتي توجد فيها قبلة المسلمين الاولى لاتجد للمسلمين — الذين لهم هذه القبلة الموجودة بداخل المسجد الاقصى المعروف قديما بتل موريا ، والذى له منزلة دينية سامية من أقدم أزمنة التاريخ ، قدسها الوثنيون أولا ثم اليهود ثم المسيحيون ثم المسلمون — الا أشياء تافهة كمدرسة لتربية الأيتام الموجودة في دار من دور الحكومة التركية داخل المدينة وبعض معاهد أولية . وللمسلمين في هذه البلاد العذر لانهم فقراء ولان أوقافهم لاتكفي الا لاقامة شعائر الدين في المسجد الاقصى ومسجد عمر ابن الخطاب في القدس وفي بيت لحم ومسجد الخليل وبعض مساجد ومزارات أخرى ومسجد الصخرة الذي لايوجد مثله في البلاد

وعلى ذكر مسجد الصخرة الذي يهتم المجلس الاسلامي الاعلى بدعوة المسلمين الى التبرع ببعض أموالهم لعمارته وعمارة المسجد الاقصى — نقول : ان الصخرة كانت في بداءة الامر بيدرا لاحد اليبوسيين من سكان فلسطين الاقدمين فجاء النبي داود عليه وعلى الانبياء الصلاة والسلام وبنى عليها مذبحاً لتقدمة القرابين ثم بنى سليمان الحكيم هيكله المشهور حيث قبة الصخرة وهي التي ورد بشأنها الحديث الشريف « مسجد الصخرة قطعة من الجنة »

وقد عرف قدره سلاطين بني عثمان فرمموه عدة مرات وغير السلطان سليمان القانوني نوافذ الصخرة فصارت آية من الآيات الفنية ولاتزال باقية للآن تشهد للمصلحين بالفضل العميم وفي الجهة الشرقية لمسجد الصخرة يوجد قبة بها منبر ومحراب . وقد كتب على المنبر اسم صلاح الدين الايوبي أيام الحروب الصليبية وفي الجهة الشمالية قبة أخرى بها منبر ومحراب وكذلك الحال في الجهتين الغربية والجنوبية . وبالجنوبية محلات للصلاة وللاقامة فاذا نزل الزائر من سلم صغير الى أرض المسجد الاقصى يجد آثار أشجارقديمة . وقبل الوصول الى المسجد يرى بئراً كبيرة مزدحمة بالناس . ومنها يستقي اكثر سكان القدس . والسقاؤون يتساعدون في جر الدلاء بطريقة جميلة وقد شربنا من مائها في يوم صائف فشعرنا بلذة كما نشرب من الماء المثلج في القاهرة ويحيط بالمسجد سور عظيم كان سياجاً للمسلمين في أيام الحرب . ويرى الناظر فيه في الجهة الشمالية كنيسة السيدة مريم وهي من الكنائس الاثرية الفخمة . ويرى جبل الطور وهو يطلق عليه اسم جبل الزيتون بعد صعود المسيح عليه صلوات الله وكنائس الروس وهي من أبدع الكنائس وقبابها السبع مغطاة بالذهب وللمسلمين عدا ذلك مقامات الانبياء ومزاراتهم . فعسى أن مصر التي اشتهرت بالاحسان من قديم الزمان والتي لها الاثر الخالد في

الحرمين الشريفين والمزارات والمساجد تمد يدها أولا لترميم الحرم الشريف القدسي ومسجد الصخرة . ولبناء تكية ومدرسة في القدس الشريف يلجأ اليهما الفقراء فيجد العاجز منهم بلغة تقيه شر الجوع ومكانا مصريا يأوي اليه ومدرسة يتعلم فيها الابناء العلم . وتقر بها عين الشرق كما قرت عين الغرب بما فيها من معاهد العلم التي أشرنا اليها . بارك الله في همة أبنائها الذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم

*
* *

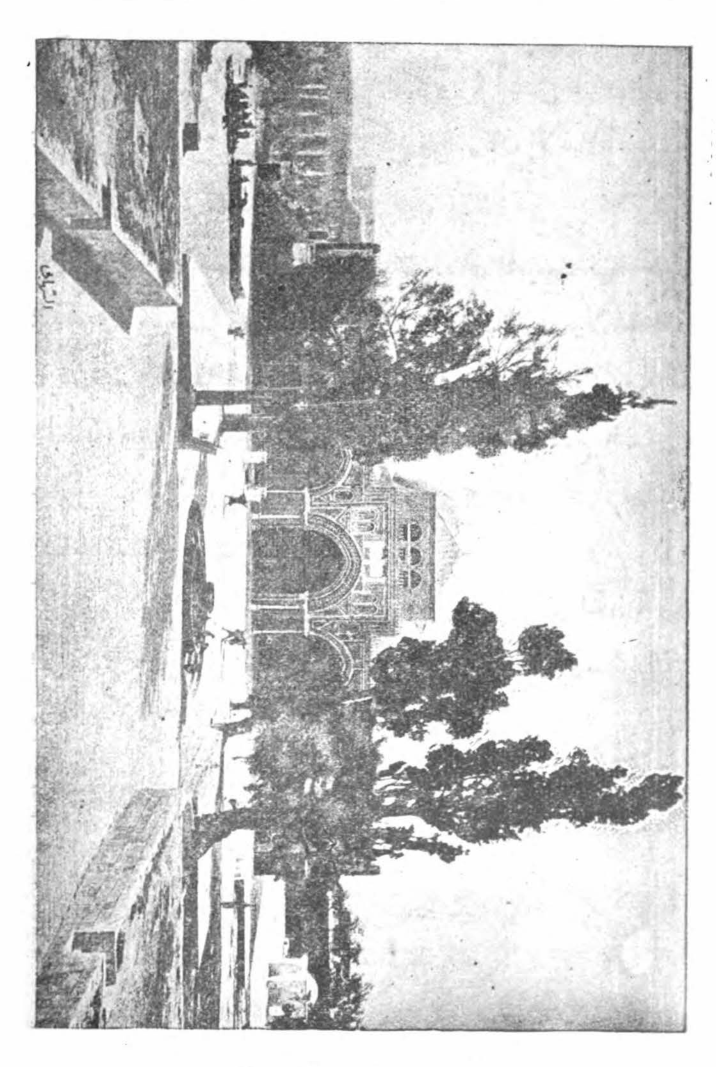
سألت محامياً من المحامين في القدس عن السبب في تقاعد المسلمين عن مباراة الطوائف المسيحية في عمل الخير ، ولماذا لا يدعون الناس الى هذا العمل الشريف بالكتابة والخطابة والتجول في الاقطار . فقال من كلام : ـ اذا نظرنا نظرة صدق الى حب أهل الغرب لصنع الخير وجدنا ان السبب بث فضائل الدين المسيحي في انحاء العالم . واذا سبرنا غور ذلك العمل بمسبار العقل وخلو عن الهوى أيقنا اذ ذاك ان بين الشرق والغرب هوة سحيقة بدليل ان كل مافي القدس يدل على اختلاف ظاهر بين الشرقي والغربي في طريقة عمل الخير وحب النفع لبني الانسان . ويدل على انهم متعصبون لمذاهبهم ولطوائفهم ولوطنيتهم . وكل ذلك نتيجة التعليم والعمل بوصايا الدين ولو عمل المسلمون بهذه

الآية الشريفة « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » لكانوا هم أسبق الناس الى عمل الخير ولو باخراج الزكاة وهي ركن من اركان الاسلام

* * *

وعلى ذكر المحاماة في القدس نقول ان المحامين فيها كوكلاء الدعاوي في مصر قديماً . لا يمكنهم الاستنتاج ولا الخطابة كما عرفت من أحدهم وهو من نابلس ، وانهم محرومون من نعمة الخطابة ويود أحدهم ان يكون خطيباً ليستطيع التعبير عن ضميره بها بدلاً من الكلام والكتابة . وعلمت انه أرسل الى المانيا بعض الشبان من الفلسطينيين للتعليم العالي ويبنون على نجاحهم الآمال . ومن هؤلاء وأمثالهم يتعلم الناس الخطابة وقوة الاستنتاج ويعرفون منهم وسائل الاصلاح مع الوسائل التي في يدهم الآن





مدخل المسجد الاقصى

وصف المسجد الاقصى

جمال الحرم . وجلال مبانيه

للمباني التي يتألف منها الحرم الشريف جمال وجلال يشعر بهما حالا كل من يتاح له التمتع بمشاهدته أيا كان سواء في ذلك العالم والجاهل الكبير والصغير ، المسلم وغير المسلم . فاذا سرح الطرف متأملا في عجائب صنعتها ازداد تأثره واتسع شعوره ، وحلق وجدانه مرتقياً من الحسن الى الاحسن ومن السامي الى الاسمى ، فيخشع قلبه وتحل عليه روحانية لطيفة تسمو بنفسه الى ادراك حقائق الدين ودقائق معانيه ونبيل مقاصده ، الى غير ذلك مما يدل على بلوغ فناني العرب والمسلمين الغاية القصوى في الاتقان والابداع

فالداخل الى الحرم المكرم من أي باب من أبوابه المباركة تأخذه روعة المقام الشريف اذ ينبسط أمامه مشهد من مشاهد السعة والصفاء رحب فسيح ، ينشرح له الصدر ، وينجلي بمرآه الذهن ، فلا يلبث النظر أن يرسل رائده الى ما حوله من المبانى الفخمة المتنوعة بتناسب تام من مربع الى مسدس الى مثمن الى مستطيل الى كروي الى اسطواني . . . على أشكال وأوضاع

متلائمة آخذ بعضها برقاب بعض تسر الناظرين ، وتسبح بحمد رب العالمين

وترى أروقة ممتـدة على جوانب الساحة يتخللها النور والهواء فتنزل على النفس السكينة والهناء ، وقباباً عظيمة تحنو على ما تحتها من المعابد ولا حنوّ الأم على فطيمها ، وأساطين شاهقة ترفع ما فوقهـا بقوة ومتانة ، وأعمدة هيفاء مختلفـة الاشـكال والالوان ، قامت صفوفاً متزاوجة توحي الى القلوب الاحترام وحب النظام ، ومآذن تخترق الفضاء ، وتمعن في العلاء لتكون رسولا بين الارض والسماء ، ومناديا ينادي الناس كل يوم خمس مرات « بحي على الصلاة ، حي على الفـلاح » ومقاصير وفساقى ، وادراجا ومراقي ، ومنابر خاشعة ، تتلى عليها المواعظ الحسنة ، ومحاريب ساكنة يستقبل فيها المصـلون وجه ربك ذي الجلال والاكرام ، ويذكرون فيها اسمه تبارك وتعالى في الغدو والآصال

وكل ذلك قد أحـكم بناؤه من حجر منقوش ، أو مرمر مسنون ، أو خزف مصقول ، أو خشب منجور ، أو صفر مطلي بالفضة أومكسو بالتبر ، أو فص مذهب يملوه التزيين والتلوين ، والتشجير والتزهير ، والتذهيب والترصيع ، والوشي والزخرفة

والتنميق . . فاذا أشرقت الشمس وامتزج نورها بتلك التراكيب الهندسية البديعة رأيت لها لألاء يأخذ الابصار ويملأ الجوانح وينقل النفوس الى نعيم قدسي لا يدرك كنهه ، ولا يعرف سره ،

فتبارك الله أحسن الخالقين

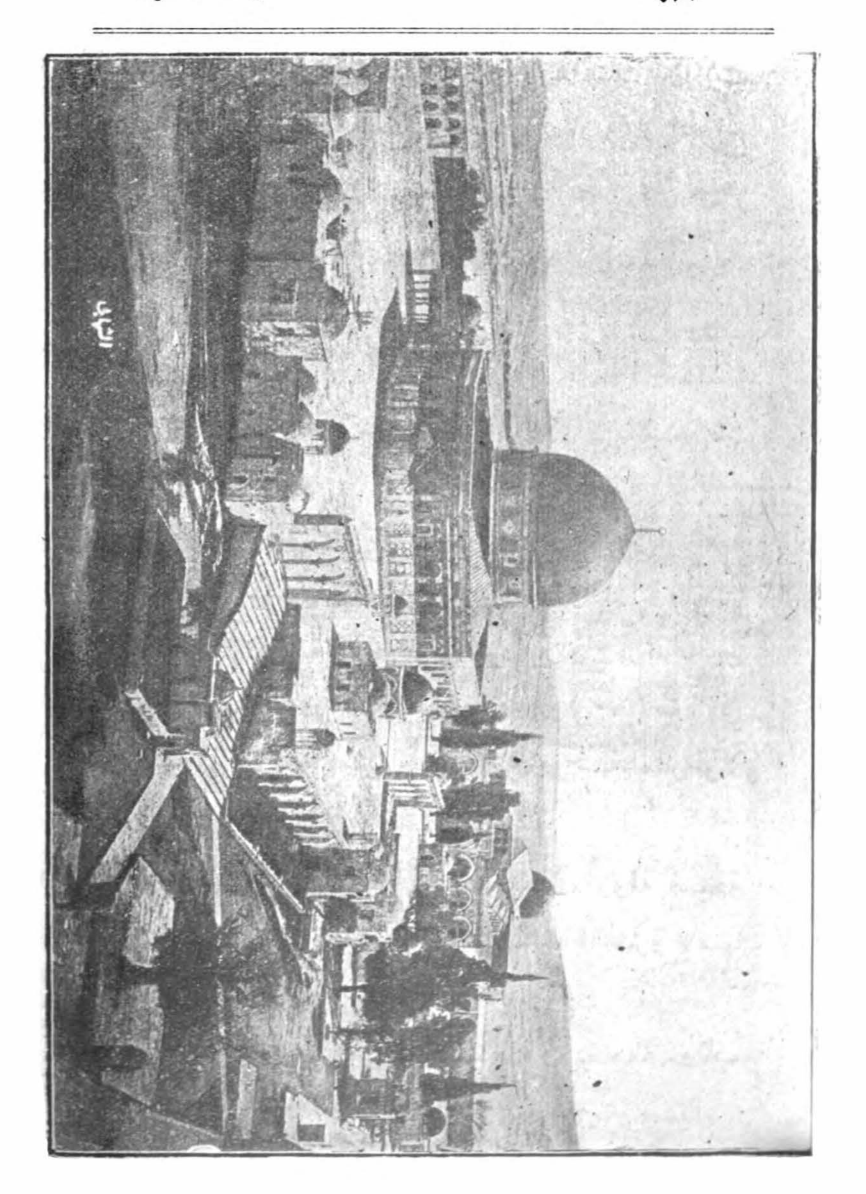
* * *

المساحة — السور — الابواب

يقع الحرم القدسي الشريف على مساحة مربعة طول الجهة الغربية منها (٤٩٠) مترا والشرقية (٤٧٤) مترا والشمالية (٣٢١) مترا والجنوبية (٢٨٣) مترا يحيط بها سور يتراوح ارتفاعه بين (٣٠) مترا (عند الزاوية الشمالية الشرقية) و (٤٠) مترا (في الجنوب الشرقي) ويبلغ بعض الحجارة فيه نحو خمسة أمتار طولا في أربعة أمتار عرضاً

وحول السور من جهة الغرب والشمال أروقة فسيحة معقودة يتخللها بعض أبواب الحرم وهي ١٤ بابا المشروع منها احد عشر وهي :

١ — في الجهة الشمالية : باب الاسباط ، وباب حطة ، وباب شرف الانبياء أو الدويدار (العتم)



منظر عام للحرم القدسي

٢ — في الجهة الغربية : باب الغوانمة (وكان يسمى قديماً باب الخليل) وباب الناظر أو البصير (كان يسمى قديماً بباب ميكائيل) وباب الحديد ، وباب القطانين ، وباب المتوضأ ، وبابا السلسلة والسكينة (وهما متلاصقان) وكان باب السلسلة يعرف قديماً بباب داود ، وباب المغاربة (وكان يسمى بباب النبي)

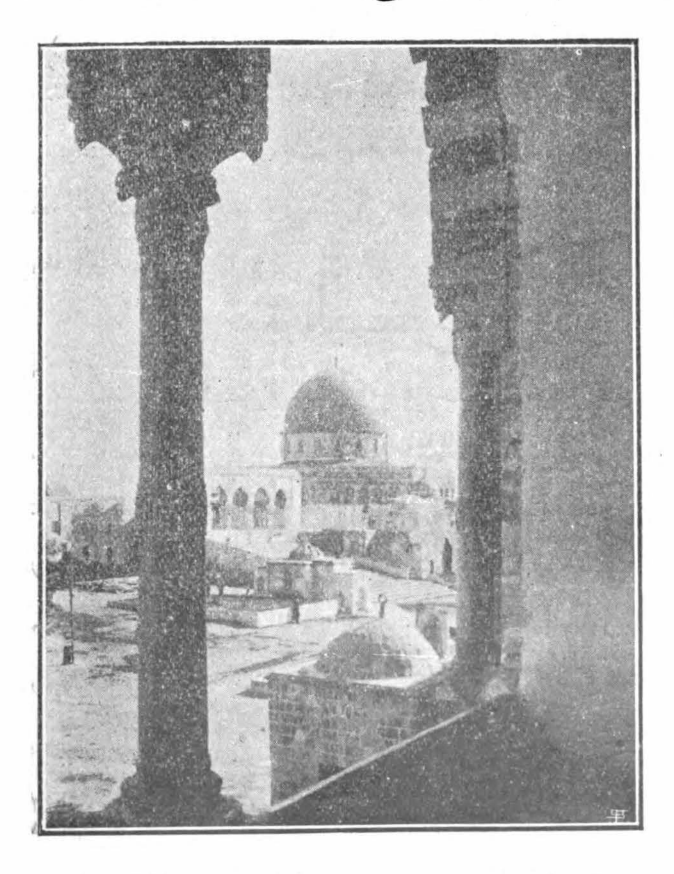
ومن الابواب غير المشروعة بابا الرحمة والتوبة المعروفان بباب الذهب وهما في السور الشرقي للحرم الشريف ، وباب آخر في السور القبلي

قبة الصخرة

شيد جامع الصخرة الشريفة على صحن مربع مفروش بالبلاط المصقول طوله من القبلة الى الشمال اكثر من عرضه من المشرق الى المغرب وارتفاعه ٣ أمتار يصعد اليه بادراج من الجهات الاربع : اثنان منها في الجهة الشمالية ، وواحد في الجهة الشرقية ، واثنان آخران في الجهة الجنوبية ، وثلاثة في الجهة الغربية ، وقد عقد على كل درج من أعلاه قناطر هيفاء ، محمولة على أعمدة من رخام وأركان من البناء ، فكأن كل قنطرة منها اطار يبدو منه للرائي عن كثب منظر جامع للقبة وبدائعها الرائعة

والقبة قائمة على بناء ضخم مثمن ، ذرع كل تثمينة منه (٢٩) ذراعاً وثلث ذراع أو ٢٠ متراً و٤٠ سنتيمتراً ، وقد كسي القسم

السفلي من ظاهره بالرخام الابيض المشجر والقاشاني البديع الذي يترقرق فيه ماء الالوان المتزاوجة من لازوردي صاف ، وأخضر قاتم ، وأبيض ناصع ، يعلو ذلك شبه افريز رسمت عليه



منظر القبة من احدى شرفات المجلس الاسلامي الاعلى

آي القرآن الكريم بخط جميل ، وقد صنع هذا القاشاني العجيب في أيام السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٩ للهجرة

وللقبة سقفان من خشب (التنوب) أحدهما فوق الآخر بينهما خلاء متسع فاما الخارجي منهما فكسو بشقائق الرصاص من الخارج وأما الداخلي فدهون مذهب ، وسيأتي وصف ذلك

وتحتوي كل تثمينة من البناء على سبع طاقات للتي لا باب فيها وعلى ست للتي لها باب والطاقات المحاذية لاطراف التثمينات مسدودة كلها والاخرى مركب عليها الزجاج والشبابيك الحديد وشكلها الحاضر يدل على انها جددت في القرن العاشر الهجري (أي في القرن السادس عشر للميلاد)

وللجامع الصخرة أربعة أبواب مزدوجة داخلاً وخارجاً مربعة الشكل بعقود مقوسة وهي : —

باب الجنة في الشمال ، وباب النساء في الغرب ، وباب داود أو باب السلسلة في الشرق ، وباب القبلة في الجنوب . وأمام هذا الباب الاخير من الخارج رواق مفروش بالرخام عليه سقف مكسو بالقاشاني في وسطه قنطرة معقودة والسقف محمول على ثمانية أعمدة من الرخام مختلفة في النوع واللون ، وللباب المذكور مصراعان ملبسان بالنحاس الاصفر المنقوش ، عليهما اقفال نفيسة متقنة الصنع وأما الابواب الثلاثة الاخرى فيرجح

انها كانت مثل الباب القبلي وهي الآن لا أروقة لها

ويبلغ دور البناء من الداخل٥٣ مترا ، وهو مقسم الى ثلاث دوائر يفصل بعضها عن بعض صفان مستديران من الاعمدة والاركان يتألف الاول منهما من ثماني سواري مسدسة الاضلاع و ١٦ عموداً منها (أبيض وأزرق) عشرة ، و (أخضر مرسيني) ثلاثة ، و (شحم ولحم) [1] ثلاثة ، والصف الثاني مؤلف من أربع سوار مربعة الاضلاع ، واثنى عشر عموداً ، منها سبعة (أخضر مرسيني) وخمسة (شحم ولحم)

والسواري ملبسة بالرخام المشجروالملون البديع ، والاعمدة قديمة جداً وا كثر تيجانها تدل على أنها من الطراز الرومانى أو البيزنطي القديم ، ويربط أعمدة الصف الاول بعضها ببعض وبالسوارى (بساتل) [2] ملبسة بالنحاس الاصفرالمنقوش المذهب وتحمل هذه الاعمدة مع جدار الجامع سقفاً مائلا بعض الميل مدهونا بانواع الدهان قائماً على قناطر مرصعة بالفص المذهب متصلا طرفه الاعلى بكرسي القبة

(١) المراد بالشحم واللحم ما كان حجرها ذا بقع بيض وحمر على هيئة الشحم مع اللحم

(٢) جمع (بستلة) وهي عارضة من حديد تصل ما بين الاعمدة ولعلها فارسية وقد وردت في كتاب « مسالك الأبصار في الممالك والأمصار » لابن فضل الله العمري

ويزين باطن القبة مجموعة لا نظير لها من الفصوص الملونة تمثل ٦٤ شكلا من الزخارف على نحو ما كان يصنعه فنانو البيزنطيين ، وهي مركبة على سطح موشى بالذهب يأخذ ببصر الناظر ولبه . وفي كرسي القبة ست عشر طاقة زجاج مذهبة يعلو كلاً منها طبقة من الجبس مقسمة عيوناً مغطاة بقطع الزجاج المختلفة الالوان والاشكال تنفذ منها أشعة الشمس صافية ملطفة بفضل الواح الزجاج الخارجية والمشبكات المصنوعة من القاشاني. وعلى هذه الطاقات نقوش تدل على انها صنعت في زمن السلطان سليمان سنة ٩٤٥ هجرية كما أن المرمر الذي يكسوها انما ركب في زمن (السلطان صلاح الدين) وجدد في أيام السلطان سليمان المذكور

والصخرة الشريفة واقعة داخل درابزين [١] من خشب منقوش مدهون بأنواع الدهان طولها ١٧،٧٠ متراً وعرضها ١٣،٥٠ متراً وارتفاعها عن الارض يبلغ نحو ١،٢٥ متر الى مترين وينزل الى المغارة التي تحتها باحدى عشرة درجة من جهة القبلة ، وعند باب المغارة قنطرة معقودة بالرخام العجيب على عمودين وبباطنها محرابان كل محراب على عمودي رخام لطيفين وامام المحراب الايمن صفة تسمى مقام الخضر يواجهها عمود رخام

(١) الدرابزين كلمة أعجمية يمكن أن يجعل محلها كلمة كفاف بالكسر

قائم للسقف وآخر راقد ، وفي الركن الشمالي منها صفة تسمى مقام الخليل

وجميع باطن أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام وفي وسط المغارة بلاطة مستديرة ينبعث عنها اذا نقر عليها رنين تتجاوب اصداؤه وهذا يدل على خلو ما تحتها. وحول الدرابزين الخشبي مصلى النساء وهو محاط بالقضب الحديدية من جميع جهاته وله أبواب أربعة لا يفتح منها عادة الا الباب الغربي الموازي لباب النساء وهو من عمل الصليبيين ابان احتلالهم بيت المقدس

صفة المسجد الاقصى

يقع المسجد الاقصى جنوبي جامع الصخرة وطوله ٨٠ مترا وعرضه ٥٥ ما عدا ما أضيف اليه من الابنية

وأول ما يقابلك من المسجد الاقصى عند الدخول اليه من الجهة الشمالية رواق كبير أنشأه الملك المعظم عيسى بن أبي بكر ابن أيوب صاحب دمشق سنة ٦٣٤ هجرية وجدد من بعده وهو مؤلف من سبع قناطر عقدت على ممر ينتهي الى سبعة أبواب كل باب يؤدي الى (كور) من (أكوار) المسجد السبعة ، وللمسجد عدا هذه الابواب باب في جهة الشرق ، وآخر في جهة الغرب ومدخل الى المكان المعروف بجامع النساء ، فيكون

مجموع ما للمسجد من الابواب عشرة والبناء قائم على خمسة وأربعين عموداً منها ثلاثة وثلاثون من الرخام واثنا عشر مبنية بالاحجار وهي تحت (الجملون [1]) والعمود الاخير مبني بالحجارة أيضاً وموضعه عند الباب الشرقي تجاه محراب زكريا، وهذه الاعمدة قديمة نقلت في الغالب من انقاض أبنية متنوعة اقدم عهداً من الحرم، وفوق الاعمدة قناطر عريضة حديثة العهد يربط بعضها ببعض أخشاب ضخمة مستطيلة وفوق القناطر صفان من الطاقات، العلوية منها تفتح على الخارج والسفلية على (الاكوار) داخل المسجد وباطن السقف مكون من عوارض كلها من الخشب

وعدة ما في المسجد من السواري أربعون، وهي ضخمة مربعة الشكل مبنية بالحجارة

وباقصى البناء من جهة الجنوب قبة مرتفعة مزينة بالفصوص الملونة المذهبة، وهي مما رممه صلاح الدين الايوبي، وذلك في سنة ٥٨٤ هجرية، كما أنه رمم أكبر جناحي المسجد. والقبة والجناح على الغالب انما صنعا في خلافة المهدي بعد تهدم المسجد بفعل الزلازل. وهي كقبة الصخرة من خشب مكسوة بصفائح الرصاص من ظاهرها وبالفص المذهب من باطنها. ومجدد هذه

(١) الجملون من اوضاع العامة وهي تعني السقف المحدب

التزيينات هو الملك الناصر محمد بن قلاون سنة ٧٢٨ للهجرة كما يفهم ذلك من الكتابة التي عليها

وهناك آيات قرآنية كتبت بخط كوفي على جانبي المحراب . والمحراب قائم على أعمدة لطاف من المرمر وبجانبه المنبر وهو من الخشب المرصع بالعاج والآبنوس ، أمر بصنعه خصيصاً لبيت المقدس الملك العادل نور الدين الشهيد وهو بحلب سنة ٥٦٤ هجرية ، فلما فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين أمر باحضاره ونصبه في المكان الموجود به حالا

ويقابل المنبر دكة المؤذنين ، وهي على عمد من رخام في غاية الحسن

وبداخل المسجد من جهة الغرب جامع النساء أو الجامع الابيض ، وهو عبارة عن عشر قناطر على تسع سوار في غاية الاحكام بناه الفاطميون . ومن جهة الشرق جامع عمر وهو معقود بالحجر والجير سمي بذلك لانه بقية من الجامع الذي بناه عمر رضي الله عنه حين الفتح . والى جانب هذا البناء ايوان كبير معقود يسمى مقام عزيز وبه باب يتوصل منه الى جامع عمر وبجوار هذا الايوان من جهة الشمال ايوان لطيف به يسمى محراب زكريا عليه السلام وهو بجوار الباب الشرقي

وفي صحن المسجد الاقصى شمالا بركة مستديرة من رخام

سورت بالقضب الحديدية يقال لها الكاس يأتيها الماء بأنابيب خاصة من عيون جارية بالقرب من برك المرجيع المسماة ببرك سليمان أهمها عين عطاب ووادي الآبار وغيرهما . ومنها يتوضأ المصلون

ومن الآثار المهمة في الحرم الشريف : البناء السفلي المعقود بالحجر والجير المعروف عند الافرنج باصطبل سليمان عليه السلام وهو عبارة عن مهد عيسى ومحراب مريم والعقود الواسعة التي يقوم عليها المسجد الاقصى . وكذا البراق الشريف وهو في السور الغربي وجامع المغاربة ، والمدرسة النحوية (المعظمية) وفيها اليوم دار كتب المسجد الاقصى وهي من ابنية الملك المعظم (سنة ٣٠٤ هـ) ومنبر القاضي برهان الدين بن جماعة ومحرابه وقبة السلسلة وهي شرقي قبة الصخرة وعلى شكلها . صنعت في أيام عبد الملك بن مروان . وقبة المعراج (سنة ٥٩٧ هـ) وسبيل قايتباي (سنة ٨٨٧ هـ) وما يحيط بالحرم الشريف من المدارس القديمة كالمدرسة التنكزية وفيها اليوم المحكمة الشرعية والمدرسة المنجكية ، وفيها المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى والرباط المنصوري في باب علاء الدين وغير ذلك من الآثار الاسلامية والاماكن التاريخية [1]

(١) كل ما أوردناه من وصف الحرم القدسي مأخوذ من البيان الذي نشره المجلس الاسلامي الاعلى في القدس

تاريخ الحرم الشريف

للمكان الذي شيد عليه المسجد الاقصى وقبة الصخرة المشرفة (تل موريا) منزلة دينية سامية من أقدم أزمنة التاريخ يقدسها المسلمون والمسيحيون واليهود حتى الوثنيون

ويظهر من شكل الساحة التي عليها قبة الصخرة انها كانت في بداءة الامر بيدراً لاحد اليبوسيين (سكان فلسطين الاقدمين) وقد بنى فوقها سيدنا داود عليه السلام بعد فتحه البلاد مذبحاً تقدم فيه القرابين لله تعالى

هيكل سليمان

وفي سنة ١٠١٣ ق . م أمر سيدنا سليمان عليه السلام بانشاء قصر له حيث المسجد الاقصى وهيكل فخم حيث قبة الصخرة الشريفة ولم يكمل البناء الا بعد وفاته بمدة طويلة

الهيكل الثاني

وقد دمره الكلدانيون سنة ٥٨٨ ق . م . فحاول اليهود عقب عودتهم من الاسر تجديده سنة ٥١٦ ق . م . فلم يصنعوا شيئاً مذكوراً

هيكل هيرودس

وفي السنة العشرين قبل الميلاد شرع هيرودس الكبير بتشييد هيكل فخم وبرج عال (انطونية) في المكان نفسه فلم يوفق الى اتمامه وبقي الى سنة ٧٠ ميلادية اذ دمره جنود الرومانيين حرقا ابان محاصرة الامبراطور طيطوس بيت المقدس واستيلائه عليها

زون المشتري

وبنى الامبراطور ادريان سنة ١٣٠ م . مدينة ايلياء وأمر بتشييد زون كبير للمشتري (اله الحرب) اثنا عشرى الشكل Dodecastyle كالذي ترى على صورته بعض النقود القديمة ، فنصب فيه صنما للمشترى وآخر (لديوسقورس) أو صنم التوأمين (كاستور وبلوكس) وأقام تمثالاً لنفسه بالقرب من الصخرة المباركة

الحرم الشريف

وفي سنة ٦١٤ م . اكتسح الفرس البلاد فخربوا بيت المقدس وقضوا على ما فيها من المعابد والكنائس لكن جيوش المسلمين لم تلبث ان فتحت بيت المقدس سلماً سنة ١٥ هجرية و ٦٣٧ م. بحضور الخليفة الثاني سيدنا عمر رضي الله عنه . فلما دخلها ذهب

توا الى مكان الحرم الشريف وازال ماكان فيه من الاقذار

ولما افضت الخلافة الى عبد الملك بن مروان وحيل بينه وبين الحرمين الشريفين لقيام خصمه اذ ذاك عبد الله بن الزبير خليفة في الحجاز ولى وجهه شطر القبلة الاولى فأمر بانشاء المسجد الاقصى وقبة الصخرة في بيت المقدس ورصد لذلك خراج مصر سبع سنين ووكل على العمارة أبا المقدم رجاء بن حيوة بن جود الكندي وكان من العلماء الاعلام ويزيد بن سلام مولى عبد الملك من اهل بيت المقدس وولديه . ويقال ان عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع فصنعوا له وهو في بيت المقدس القبة الصغيرة التي هي شرقي قبة الصخرة (قبة السلسلة) فاعجبه تكوينها وأمر ببنائها كهيئتها

وبقيت بعد الفراغ من عمارة الحرم مئة الف دينار فامر بها عبد الملك جائزة لرجاء ويزيد فكتبا اليه : « نحن أولى ان نزيده من حلى نسائنا فضلا عن أموالنا ، فاصرفها في أحب الاشياء اليك » فكتب اليهما بان تسبك وتفرغ على القبة فسبكت وافرغت عليها فما كان أحد يقدر ان يتأملها مما عليها من الذهب وهيئا لها جلالا من لبود توضع من فوقها فاذا كان الشتاء البستها لتكنها من الامطار والرياح والثلوج

وكان الفراغ من عمارة قبة الصخره والمسجد الاقصى في

سنة ٧٢ من الهجرة ، وقد قرن اسم عبد الملك بهذا الأثر الخالد منقوشا بالفسيفساء عند مدخل الصخرة من الباب الجنوبي بعبارة هذا نصها :

« بنى هـذه القبة عبد الملك (لله الامام المأمون) أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضى عنه آمين »

ويظهر من اختلاف الخط واللون فيما أشرنا اليه بين هلالين انه من الاضافات التي حدثت بعد ذلك التاريخ

الحرم الشريف في زمن العباسيين

وفي سنة ١٣٠ هـ سقط شرقي المسجد الاقصى وغربيه في الرجفة التي حصلت في خلافة أبي جعفر المنصور العباسي فخوطب بلزوم عمارته ، فأمر بقلع صفائح الذهب والفضـة التي كانت على الابواب فقلعت وضربت دنانير ودراهم وانفقت عليه حتى فرغ

ثم حصل زلزال سنة ١٥٨ هجرية تهدم فيه البناء الذي كان أمر به أبو جعفر فلما كانت خلافة المهدي أمر ببنائه فانقص من طوله وزيد في عرضه . وذلك في سنة ١٦٩ هـ . وأخيراً جددت عمارة قبة الصخرة في أيام المأمون (٢١٦ هـ) كما جاء في الكتابة المذهبة الواقعة على البابين الشرقي والشمالي من الداخل

الحرم الشريف في زمن الفاطميين

ثم جاءت زلزلة ثالثة سنة ٤٠٧ هـ . تهدمت من جرائها قبة الصخرة وبعض الجدران الواقعة في الشمال الشرقي من الساحة المحيطة بها فقام الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاكم بامر الله برفعها وتجديد عمارتها سنة ٤١٣ هـ . على يد علي بن احمد كما نقش على الاعمدة الواقعة داخل القبة . ومما زيد فيها في زمن الفاطميين البناء المسمى اليوم بجامع النساء

الحرم الشريف في دولة بني أيوب

ولما احتل الصليبيون بيت المقدس حولوا قبة الصخرة الى كنيسة والمسجد الاقصى الى منزل لسكنى ملكهم وسموا ما تحت الاقصى من الابنية باصطبل سليمان وربطوا فيه الخيل فجاء صلاح الدين الايوبي وهدم ما احدثوا من الابنية والسواري وأعاد الحرم الشريف الى ما كان عليه وذلك سنة ٥٨٣ هـ . وكان الملك العادل نورالدين الشهيد قد أعد منبراً عجيب الصنعة برسم القدس صنعه حميد بن ظافر الحلبي وسليمان بن معالى من خشب مرصع بالعاج والابنوس وعليه تاريخ يرجع الى سنة ٥٦٤ هـ . وقد أدركته المنية قبل الفتح فاحضره صلاح الدين من حلب وجعله في المسجد الاقصى وهو الموجود في عصرنا هذا

وأمر بترميم محراب الاقصى وكتب عليه بالفصوص المذهبة ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الاقصي الذي هو على التقوى مؤسس عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عند ما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وهو يسأل الله اذاعة شكر هذه النعمة واجزال حظه من المغفرة والرحمة »

وفي سنة ٦٣٤ قام الملك المعظم عيسى بن أخي صلاح الدين بعمارة (واجهة) المسجد الاقصى الشمالية والرواق الموجود في مدخله من تلك الجهة

وفي سنة ٦٦٨ هـ اعتنى السلطان الملك الظاهر بيبرس بعمارة المسجد ورمم صدع الصخرة الشريفة وجدد فصوصها التي على الرخام من الظاهر والتي على قبة السلسلة

وعمر السلطان الملك المنصور قلاون الصالحي سنة ٦٨٦ سقف المسجد الاقصى من جهة القبلة مما يلي الغرب وفي أيام السلطان الملك العادل كتبغا في سنة ٦٦٥ جدد عمل فصوص الصخرة الشريفة وعمارة السور الشرقي المطل على مقبرة باب الرحمة . وفي أيام السلطان الملك المنصور لاجين جددت عمارة

محراب داود الذي بالسور القبلي عند مهد عيسى عليه السلام بالمسجد الاقصى

وعني السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون ابان سلطنته الثالثة بعمارة السور القبلي الذي عند محراب داود عليه السلام ورخم صدر المسجد الاقصى وفتح به الشباكين اللذين عن يمين المحراب وشماله (٧٣١ هـ) . وجدد تذهيب القبتين قبة المسجد الاقصى وقبة الصخرة سنة٧١٨ هـ . وعمر القناطر على الدرجتين الشماليتين بصحن الصخرة التي احداهما مقابل باب حطة والاخرى مقابل باب الدويدارية وعمر باب القطانين بالبناء المحكم . وفي أيامه أيضاً عمر الامير تنكز الناصري نائب الشام البركة الرخام بين الاقصى والصخرة والرخام الذي في قبلة المسجد عند المحراب وكذا الجانب الغربي سنة ٧٢٨ هـ

وفي أيام الملك الاشرف شعبان بن الامير حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاون عمرت المنارة التي عند باب الاسباط بمباشرة السيفي قطلوبغا ناظر الحرمين الشريفين في سنة٧٦٩ هـ . وكذا تم تجديد الابواب الخشب المركبة على الجامع الاقصى والقناطر التي على الدرجة الغربية صحن الصخرة المقابل لباب الناظر في (٧٧٨ هـ)

وفي سلطنة السلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق عمرت

دكة المؤذنين التي بالصخرة تجاه المحراب الى جانب المغارة بمباشرة ناظر الحرمين ونائب القدس الشريف الناصري محمد بن السيفي بهادر الظاهري في ٧٨٩ هـ

وفي أيام الملك الظاهر أبي سعيد جقمق العلائي الظاهري احترق سقف الصخرة القبلي من جهة الغرب ، من جانب القبة فاخمدت النار وعمر السقف باحسن مما كان

وفي سنة ٨٧٧ هـ . أمر السلطان الملك الاشرف أبو النصر بعمارة الدرج الموصل الى صحن الصخرة الشريفة تجاه باب السلسلة المجاور لقبة المدرسة النحوية . وفي سنة ٨٨٤ جدد رصاص قبة الاقصى ولم يكن من حيث الجودة والاتقان كالقديم . وفي سنة ٨٨٧ هـ . أنشيء سبيل قايتباي المقابل لدرج الصخرة الغربى على بئر هناك وكذلك الفسقيتان المجاورتان له

وقد تمت في الحرم الشريف عمارات متعددة في زمن سلاطين بني عثمان كزجاج شبابيك الصخرة العجيبة فانه من آثار السلطان سليمان القانونى سنة ٩٤٥ هـ كما تدل على ذلك الكتابات المرسومة على زجاج الطاقات . وكذلك القاشانى البديع المحيط بقبة الصخرة من الخارج فانه صنع في زمنه سنة ٩٦٩ هـ . وهذا التاريخ مثبت في صدر محراب قبة السلسلة والنقوش والكتابات النفيسة فان قسماً كبيراً منها جدد في أيام السلطان محمود سنة

١٢٣٣ وسنة ١٢٥٦ هـ . وفي أيام السلطان عبد العزيز سنة ١٢٩١ هـ . جدد رصاص الصخرة الخارجي وتذهيبها . وحصلت عمارات طفيفة في زمن السلطان عبد الحميد كتجديد سبيل قايتباي وباب الصخرة الغربي وغير ذلك

استدراك

جاء في الصحيفة ٣٠ أن القادم الى القدس يرى ابنية عظيمة مما شاده اليهود الصهيونيون . والحقيقة أن للعرب الوطنيين ـ من مسلمين ونصارى ـ آثار ومآثر جليلة الشأن ، وهنالك مهاجرون من اليهود دفعتهم ايدي الاغراء فحملتهم من مواطنهم في اطراف الأرض الى هذه الديار بأماني وآمال خلابة فنزلوها بفقرهم وفاقتهم ، وهم يتقلبون بين يدي الحاجة ويبيتون في بيوت صغيرة وأكواخ وخيام ، فكادت الدعوة الشيوعية والافكار البولشفية تنبعث من محيطهم فتقلق راحة تلك الديار المقدسة التي لم يكن لها عهد بهذه النزعات قبل حلول الاوهام الصهيونية فيها . ونشكر للكاتب الفاضل السيد محمد علي الطاهر من أدباء فلسطين وتجار القاهرة ملاحظته التي كانت السبب في هذا الاستدراك

نظرة
في مدينة بيت المقدس الآن

الاماكن المقدسة . المسجد الاقصى وعمارته . اللجنة الفنية
عناية ملك انكلترا بالآثار . الحالة في المدينة
مهمة المجلس الاسلامي الاعلى

يقصد القدس سنويا للزيارة والتبرك بزيارة المسجد الاقصي ومسجد الصخرة ومزارات الانبياء والقبر المقدس ومولد المسيح ومولد السيدة مريم والنبي موسى عليهم السلام ومقام ابراهيم عليه السلام في بلد الخليل (حبرون) وزيارة السيدة راحيل في طريق بيت لحم ـ عدد وافر من مسلمي العالم على اختلافه وعشرات الالوف من المسيحيين واضعاف ذلك العدد من اليهود . فترى في القدس اجناسا مختلفة وسحنا متباينة من يهود الكرج وعجم همذان ويهود روسيا وپولونيا وايطاليا والنمسا والمانيا عدا الاعراب من الكرك والسلط والصحراء . فترى المساكن متجاورة وفي المنحدرات من الارض . او في مرتفع يصعد اليها بدرج وبينها كنيسة قديمة مضى عليها اكثر من الف سنة لايشعر الانسان بعظمتها واتساعها وزخرفها الا اذا اجتاز بابها الضيق ودخل اليها من طريق مرصوف بالحجر الرفيع الذى يشبه الآجر . وكذلك الشوارع فانها منحدرة مسقوفة

وعلى بواكيها منازل السكان وكذلك حارة اليهود فانها تزدحم بالمنازل على ضيقها ، وبجوارها أوفيها مصانع الخمر ومدابغ الجلود . فلايسع المار الا سد أنفه. وسراة المدينة يقيمون في منازل جميلة. اشبه بمنازل القاهرة في بيرجوان او بين السيارج والجمالية وقصر الشوق والجودرية وحارة الروم وسوق السلاح ودرب الجماميز

والحق يقال ان جميع سكان المدينة يشتغلون في تجارتهم بنشاط ولا يقل المسلمون عن النصارى ولا هؤلاء عن اليهود في الحرص على مصالحهم ومنافعهم

* * *

مررت من حارة المغاربة بين صعود وهبوط حتى وصلت الى جدار المسجد الاقصى من الجهة القبلية فوجدت احباراً من اليهود ونساء منهم يستقبلون الجدار وأيديهم في فجوة صغيرة منه فيقرأون ويهتزون بحركة مستمرة ونسمع أصوات بكائهم على ملك أورشليم الذي ضاع ويقرأون الزبور بنغمات غريبة فاذا انتهى أحدهم بعد ساعة قام الثاني مقامه وهكذا من الشروق الى بعد الغروب . ويقول العامة ان اليهود يسمون هذا الجدار بسور البكاء

اللجنة الفنية

لا يوجد في القدس الشريف بالرغم من الاماكن الاثرية

الموجودة فيه بكثرة لجنة لحفظ الآثار كما هو في مصر بل يوجد بدلها لجنة فنية تضم بعض المهندسين من ابناء فلسطين وتركيا ممن تعلموا في مدارس الاستانة بواسطة الاستاذ كمال الدين بك المعماري المعروف . وبين اعضائها رشدي بك ونهاد بك وهاني بك وغيرهم. وقد رأت هذه اللجنة ان المسجد الاقصى ومسجد الصخرة كلاهما في حاجة الى الاصلاح فعرضت الامر على المجلس الاسلامي الاعلى فقام بالدعوة بعد ان وضعت الحرب أوزارها . ووصل الخبر الى مسامع جلالة ملك انكلترا فعرض بواسطة حاكم القدس ان يتبرع بمبلغ الف جنيه للمساعدة الفنية ليس الا . فشكره المجلس الاسلامي الاعلى بعبارة لطيفة خلاصتها ان هذا الامر يختص بالمسلمين وحدهم وهم في استعداد للقيام بالتبرع والاصلاح . وقد تقدمت صورة هذه اللجنة في الصفحة ٣٥

* * *

يقع الحرم القدسي الشريف على مساحة مربعة يحيط بها سور يتراوح ارتفاعه بين ٣٠ مترا و ٤٠ مترا ويبلغ بعض الحجارة فيه نحو ٥ امتار طولا في أربعة امتار عرضاً . وللحرم ١٤ بابا المشروع منها أحد عشر

والداخل الى الحرم من أي باب من أبوابه يرى المباني الفخمة على اشكال واوضاع متناسبة آخذ بعضها برقاب بعض . ويرى

أروقة ممتدة على جوانب الساحة وقباباً عظيمة وأعمدة مختلفة الاشكال والالوان وقد أتينا على وصفه قبل . ويذكر التاريخ ان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خصص لعمارة المسجد الاقصى ومسجد الصخرة خراج مصر لمدة ٧ سنين . ولهذا يذكر أهالي القدس مصر بالثناء ويقولون انها السبب في عمارة المسجد الاقصى قبل ١٢٤٠ سنة وهم لاجل ذلك يعتمدون على مصر في المساعدة لاصلاح المسجد والتبرع ببعض أموالهم . ويعتقدون ان الدعوة التي أذيعت في أول هذا العام في مصر ستأتي بالثمرة المقصودة

مهمة المجلس الاسلامي الاعلى

هذا المجلس أهلي يتولى شئون الطائفة الاسلامية في فلسطين وقد تشكل منذ نحو سنتين برياسة حضرة السيد محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين فقام بالواجب عليه في انقاذ أراضي الاوقاف من واضعي اليد عليها من الذين ادعوا ملكيتها أو من الحكومة وبلغ مقدار ما استخلصه نحو ١٠ آلاف فدان منها أراض كانت غير معروفة في أيام الحكومة العثمانية . فحفظ المساجد والزوايا وأنشأ مدارس لتعليم الايتام والاطفال وحفظ التكايا بما يدره عليها من الارزاق ثم أصدر أوامر مشددة نفذتها الحكومة بعدم تبرج النساء أو التهتك اثناء سيرهن في الطرقات

وامتنع من القدس ذلك الداء الفتاك داء البغاء المنتشر في مصر وبلادها . وكانت مصر أولى بذلك . ثم استدعي لجنة فنية للكشف على المسجد الاقصى ومسجد الصخرة وناط رئاستها بالمهندس كمال الدين بك اشهر مهندسي الاستانة فتولى ذلك في اغسطس ١٩٢٢ . وبعد ان قام بالاعمال الابتدائية سافر في اكتوبر من السنة المذكورة وأمر بالسرعة في العمارة وكلف نهاد بك أحد اعضاء البعثة بعمل الرسوم الفنية فقام بما عهد اليه . واستعان بما بقي من القاشاني في قبة الصخرة الذي صنع في أيام السلطان سليمان سنة ٩٦٩ هجرية . وأتم في هذا الاسبوع صنع الخرائط الجميلة وقد شاهدتها فوجدتها منطبقة على الاصل تمام الانطباق

وقد قدر للعمارة مبلغ ١٥٠ الف ج . م ورد منها مبلغ ١٢٥٠٠ ج . م من الحجازيين جمعه جلالة ملك الحجاز وسلمه للوفد الذي ذهب الى مكة في أيام الحج . وجمع من أهالي فلسطين بعض مبالغ وسافر وفد من علماء فلسطين الى الهند في هذا الشتاء ثم يعود الى العراق لبث الدعوة في العالم الاسلامي وجمع النقود

وقدر للعمارة ١٥ سنة يصرف في كل سنة ١٠ آلاف جنيه الا اذا وفق المجلس الاسلامي الاعلى لجمع هذا المقدار بسرعة

فان العمارة تنتهي في ٣ سنوات

أما المسجد الاقصى فالعمارة فيه لازمة لان الجزء الجنوبي منه في خطر . وقد تفتت اخشاب السقف فوقعت على الارض ورأيت بعض قطعها فوجدت ان السوس نخرها وقد مالت البواكي التي تحمل القبة الشريفة ، وهذه القبة لا يوجد مثلها في البلاد

ويقول الناس في القدس ان صاحب الجلالة ملك مصر لما بلغته الدعوة الى عمارة المسجد الاقصى وعد بالمساعدة ، وان حكومته ستساعد في نشر الدعوة والاكتتاب

وهذا قول حق لان مصر أولى بالسبق لما لهذا المسجد الشريف عليها من حق الجوار ، ولما لها فيه من تالد الآثار . فيكتب على الجدران اسم الملك فؤاد بجوار اسمي صلاح الدين والسلطان سليمان

ولما كان الشيء بالشيء يذكر فان مسجد النبي داود يقع في نقطة بعيدة من سور المدينة على بعد من مباني القدس وهو مسجد صغير بداخله وبجواره منازل آل الدجاني وبعض التكايا لفقراء المسلمين يصرف عليها من مال أوقاف فلسطين . وبين الامكنة مكان بناه المغفور له ابراهيم باشا جد ملكنا الحالي وخصصه للفقراء وتلاوة القرآن . ومن الاسف الشديد ان هذا

المكان منع منه ذكر اسم الله وخلا من الناس لان الاوقاف الخصوصية بمصر تركته في زوايا النسيان مع ان ١٠٠ من الجنيهات تكفي في كل سنة لادارته

وقد كتب خادم المسجد رشدي افندى الدجاني الى صاحب السمو الامير عمر طوسن بالمسألة فكتب اليه بمراجعة الاوقاف الخصوصية . فعسى ان تهتم الاوقاف الخصوصية بهذه المسألة . لان لكل الملل في القدس الشريف تكايا ومدارس وملاجيء وعيادات طبية ومستشفيات سيأتى الكلام عنها بعد . وهي تشهد للجمعيات الخيرية المسيحية بالسبق في فعل الخير ومساعدة بني الانسان

***

انتهت مدة اقامتي في القدس بعد ان فرغت من زيارة الاماكن المقدسة والآثار في القدس وبيت لحم والضواحي ، وسافرت في القطار الى حيفا فوصلتها بعد خمس ساعات ونصف وفي اليوم التالي ركبت سيارة من سيارات شركة مصايف لبنان الى بيروت

قطعنا المسافة من حيفا الى بيروت بالسيارة في ٤ ساعات ونصف ، فمررنا بعكا وصور وشاهدنا آثارهما القديمة . ثم مررنا بصيدا فجبل لبنان فبيروت ولم نحس بتعب ولا ألم .

واستقبلنا حضرة اسكندر افندي يارد مدير الشركة في مكتب بيروت وأنزلنا في فنادق حسنة . وفي اليوم الثانى زرت مكتب المصايف فوجدت الرجل العامل حيدر بك معلوف مدير الشركة العام . وعلمت انه بذل مجهودات كثيرة لتسهيل السفر للمصطافين وانه يسعى مع حكومة فلسطين لمد الخط الحديدي من حيفا الى عكا وهي مسافة ٢٢ كيلو متراً وان مساعيه في هذه المسألة ستكلل بالنجاح وانه سيخصص سيارات لنقل (العفش) تسير خلف سيارات المصيفين . وقابل فخامة الجنرال ويجاند بشأن تسهيل السفر للمصطافين الذين يقصدون جبل لبنان من المصريين وغيرهم وانه أجابه الى طلبه وشكل لجنة للنظر في امور السياحة والاصطياف تختص بمسألة جوازات السفر والجمارك ووسائل النقل اجمالاً ولجنة أخرى تختص بالنظر في الفنادق واصلاحها وانشاء فنادق جديدة وأخرى للاصطياف تختص بتحسين أماكن الاصطياف واعطاء المعلومات اللازمة من ضمن اعضائها حيدر بك معلوف ورابعة للنشر ولصق الاعلانات في وابورات الشركات البحرية وفي المكاتب والدوائر وقد بدأت هذه اللجان في عقد جلساتها والمنتظر أنها ستكلل بالنجاح . لان جبل لبنان أحسن المواقع لمصيف المصريين فانهم يجدون اخلاقاً شرقية وعادات عربية وحسن الضيافة والصدق في المعاملة وجودة المناخ وصفاء الجو والنزهة والطرب

حيفا
وسكة حديد الحجاز

حيفا من اعمال فلسطين وهي ميناء من الموانيء التجارية كما انها مدينة كبيرة بها مكاتب للتجارة وشركات . وهي مبنية على جبل وبيوتها مرتفعة عن شاطيء البحر ومتصلة بجبل الكرمل وبها محطة كبرى ومنها فرع يخرج منها الى عمان وهو الذي يتبع سكة حديد الحجاز ولكن حكومة فلسطين تديره بمعرفتها . وناظر هذه المحطة مصري وكل عمالها من أهالي فلسطين

وقد أنشأت السلطة التركية في زمن الحرب فرعاً من العفولة الى جينين فطول كرم فلدّ فوادي الصرار فصحراء التيه. وكان انشاؤه من ريع السكة الحجازية . وقد استغنت حكومة فلسطين عن هذا الفرع الذي كان يربط معظم مدن فلسطين بعضها ببعض بالخط العريض الذي أنشيء من القنطرة الى حيفا وأمرت بنزع القضبان الحديدية ولم تبق الا على فرع حيفا — جنين — طولكرم — نابلس وهو يسير مرتين في الاسبوع . ويعتبر هذا من املاك السكة الحجازية

* * *

وقد اصلح الخط بين دمشق والمدينة المنورة اصلاحاً بسيطاً

في أواخر سنة ١٩١٩ فسار عليه قطار خاص اقل الامير علي وجدته يوم جاء لزيارة الملك فيصل في دمشق فاجتاز الطريق في عشرة أيام وعاد الامير الى المدينة المنورة على قطار خاص . وسيرت حكومتا دمشق والحجاز عدة قطرات فى أواخر سنة ١٩١٩ واوائل سنة ١٩٢٠ بسبب وحدة ادارتيهما . ولما وقعت حادثة الشام في شهر يوليو سنة ١٩٢٠ واستولى الفرنسويون على دمشق وخرج الملك فيصل وقد وضع الفرنسويون يدهم على حواجز من الخط انقطع كل اتصال ووقف سير القطرات التي كانت تغدو وتذهب احيانا بين دمشق والحجاز

* * *

وفي حيفا فنأدق كبيرة منها فندق نصار وموقعه بشارع النبي قرب المستعمرة الالمانية ويشرف على البحر وجبل الشيخ (حرمون) وبها فندق ماجستيك أوتيل لصاحبه ابراهيم افندي الحوراني وهو رجل أديب أقمنا في فندقه ليلة وهو من الفنادق العظيمة يشرف الناظر من نوافذه على البحر ، وفندق سنترال وقد أقمنا به ليلة كذلك وهو امام المحطة وأجرته حسنة ومقبولة

مكثنا في حيفا ثلاث ليال في الذهاب والاياب . فلم تعجبنا الاقامة فيها لحرارة جوها ورطوبتها . وطمع تجارها في الغرباء . ومضاعفة الاسعار عليهم

جدول

باسماء مستعمرات اليهود الزراعية في فلسطين

وفيه تاريخ انشاء كل مستعمرة واقرب محطة سكة حديد لها

الاسم العربي	الاسم العبري	أقرب محطة لها	تاريخ انشائها
حمامة	ريهاما	غزة	١٩١١
قسبطينة	بير توفيا	اسدود	١٨٩٦
قطرة	جيدارا	ديران	١٨٨٥
عاقر	أكرون	نمانه	١٨٨٤
خلدا	هلدا	وادي الصرار	١٩٠٩
بيت عريف	بنشيمن	لد	١٩٠٦
كفراوريه	كفر اوريا	وادي الصرار	١٩١٢
ابو شوشة	جيزر	نمانه	١٩١٣
عرطوف	هرتوف	عرطوف	١٨٩٦
ديران	راحبوت	ديران	١٨٩٠
وادى حنين	نسزيونا	ديران	١٨٨٢
بير يعقوب	بير جاكوب	بير يعقوب	١٩٠٨
عيون قارة	ريشون لازيون	صرفند، ديران أو يافا	١٨٨٢
—	محلات يهودا	—	١٩١٢
نيتر	مكو اسرائيل	يافا	١٨٧٠
سلمة	ارجانيم	تل أبيب	١٩٢١

في لبنان

من حيفا الى بيروت

ركبنا في الساعة العاشرة من صباح يوم ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٣ سيارة من سيارات شركة « ايرن » يسوقها انكليزي كان فيما مضى من الجنود البريطانية وركب فيها معي جورج افندي خوري مقاول أشغال السكة الحديدية الفلسطينية وسيدة انكليزية قادمة من انكلترا للذهاب الى زوجها في بغداد وقد اتفقت مع سائق السيارة على ان يعود الى بيروت لنقلها الى دمشق ومنها بطريق السيارات الى بغداد واتفقت معه على مبلغ ٢٥ جنيهاً أجرة لهذه الرحلة

سارت بنا السيارة حتى غابت حيفا عن أنظارنا وظهرت مدينة عكا ، وهي ممتدة داخل البحر وشاهدنا آثارها ومساجدها ومعابدها وكنائسها ونحن نجتاز الطريق بسرعة ٦٠ كيلو متراً في الساعة وبعد ان وقفنا قليلاً امام قلعتها وعلى الزاوية اجتزنا الطريق وهو سهل للغاية ومنبسط تارة بجوار شاطيء البحر الابيض وآونة على مقربة منه . وشاهدنا الأرض الزراعية ورعاة البقر والغنم . وبعد ان مررنا على صور شاهدنا على اليمين آثار القناطر الاثرية القديمه التي كانت تجلب المياه اليها

وقال لنا دليلنا انها من آثار الملكة هيلانة وبعد ان صعدنا على مرتفع من الارض . وقف بنا السائق وأخذ منا الجوازات للتوقيع عليها من عمال حكومة فلسطين حيث توجد في هذه النقطة اول الحدود الفلسطينية من الشمال

وبعد ان استرحنا قليلا استأنفنا السير حتى وصلنا الى أول الحدود اللبنانية . فوقفنا حيث نزلنا الى مكتب به عمال الحكومة الفرنساوية فعلمنا على الجوازات ثم استأنفنا السير الى خان وقفنا عنده فتغدينا وشربنا ثم مررنا على صيدا . وهي المدينة القديمة التي اشتهرت في التاريخ وهي من أجمل المدن وأحسنها يجتازها الانسان وسط حدائق جميلة ومنازل فخمة . وشاهدنا عن اليمين جبل لبنان والانهار الجميلة والغابات البديعة ومازلنا كذلك حتى وصلنا الى بيروت . وأعتبر هذا الطريق نزهة من النزه الجميلة

وصلنا الى بيروت في الساعة الرابعة بعد الظهر فوجدناها من المدن القديمة الجميلة . بل هي من أهم مدن سوريا تطل على بحر الروم وواقعة في طول ٨ و٣٣ شرقا وعرض ٥ و٣٣ شمالا على لسان طويل داخل في البحر الى مسافة ستة كيلو مترات . وكان لها في تاريخها القديم هيكل عظيم وقلعة في جبل الى شرقيها لم تزل آثارها باقية حتى الآن وهناك دير يعرف بدير القلعة

نسبة اليها ، والناظر الى المدينة من بعيد يرى انها داخلة في البحر على شكل سلم متناسق الدرجات اكسبها منظراً جميلاً خصوصاً اذا شوهدت من البحر ويرى السائر في شوارعها ان قصورها شامخة وحدائقها غناء تكتنف كل قصر من قصورها تقريباً ومتاجرها واسعة وبها خطوط كهربائية تجتاز المدينة . وهي مزدحمة بالسيارات التي تقل الركاب بينها وبين لبنان أو سوريا

من يجوب طرقات بيروت وشوارعها ومنعطفاتها يرى ان مجال العمل متسع وان اصلاحات كثيرة يمكن اتيانها بمدة غير طويلة فهناك حائط بارز غيره منهدم وسواه يحتاج الى ترميم ومثل ذلك بعض المنازل ولا نرى الاسهاب واجباً في بيان ذلك لأنه ظاهر لكل ذي عينين

وهناك غير ذلك مما يجب له اعمال مطرقة المعمار وفتح الصناديق واخراج الذهب لكى تظهر المدينة بمظهرها اللائق وشكلها الجميل . وبيروت التي قيل فيها انها درة في تاج آل عثمان لهي درة في تاج المدن جمعاء هذا اذا اعتني بتنظيمها

اما مدارسها فكثيرة واشهرها الجامعة الاميركية الشهيرة المخصصة لتعليم اللغات والطب والزراعة والهندسة والتجارة . والكلية اليسوعية التي نقلت اليها من غزير وهي بلدة من بلاد لبنان في الجهة الشمالية ثم مدرسة الحكمة المارونية فالمدرسة

البطريركية للروم الكاثوليك ومدارس أخرى . وبها فنادق شتى منها رويال وفيكتوريا لصاحبته مدام نجوم . وقد نزلنا عندها في بيروت وسافرنا الى فندقها في عين زحلتا ولا بأس بهما وسنترال وبسول . وبسول هذا من الفنادق الضخمة واميركا وكرباج وبهذا الأخير محلات للنوم فقط . ومطاعمها حسنة أهمها مطعم الفردوس وكوكب الشرق والتريانون والمطعم العربي . وبها قهوات جميلة أكثرها في الدور العلوي ومن أفضل قهاويها القهاوى الموجودة في ساحة البرج داخل المنشية . والمدينة جيدة المناخ الا ان جوها أشبه بجو السويس في ايام الصيف أو أشد منه

ومنها يتخرج رجال الأدب . ولشبانها الفضل في التآخي بين ابناء الطوائف هناك . وهم يسعون كل السعي للوصول الى خدمة بلادهم بكل ما في وسعهم من الطرق . وكما اشتهرت بيروت بكثرة الادباء فانها اشتهرت بكثرة الصحافة اليومية والاسبوعية والمجلات الأدبية وقد عرفنا بعضهم ووجدناهم كغيرهم من الاحرار ممتازين بحرية القول والفكر

ويبلغ عدد سكان بيروت نحو الـ ١٠٠ ألف واللغة الشائعة فيها العربية عدا اللغات الحية وفيها مكتب للبريد وتليفون عمومي ممتد الى انحاء سوريا . وبها مكتب للتلغراف ومكاتب لجميع شركات البواخر . وأهم مصارفها البنك السوري وبنك دي روما

والانجلو بالستين بنك والبنك الفرنساوي . وشاهدنا بها كثيراً من الطلبة المصريين

ولا عيب في بيروت ولبنان الا تقلب سعر الاوراق المالية وارتفاعها وهبوطها بين وقت وآخر

الفنادق والمطاعم

وأثمان المآكل واجور الفنادق

وجميع الفنادق في بيروت ولبنان على غاية الاتقان، مفروشاتها كلها جديدة فاذا كنت في لبنان وجدت الفنادق وسط احراش الصنوبر أو جداول الماء . أصحابها مستعدون لخدمة المصطافين باسعار لا تزيد عن نصف جنيه مصري في اليوم والليلة . واذا كنت في بيروت فالفنادق الكبرى فيها على شاطيء البحر الابيض . وتقدم أحسن المآكل . ففي الصباح تقدم للنازلين فيها القهوة واللبن « في بكارج » والزبدة والجبن والمربي في اطباق وقطعة كبيرة من الخبز . وبعضها تقدم الفاكهة . وفي الظهر يقدم الحساء « الشوربا » واللحم أو الدجاج والخضر وحلوى « مطبوخه » . أو فاكهة وفي المساء كذلك . ومواعيد الغداء الساعة الواحدة والعشاء الساعة الثامنة مساء . والذي ينزل

في فندق من هـذه الفنادق التي تقدم الطعام لا بد من دفعه الاجر كله حتى اذا أكل في الخارج (كما حدث لي) فقد دعيت في بيروت ثلاثة أيام الى ولائم ولما جاء وقت حساب الفندق عند مدام « نجوم » دفعت الحساب كله

وفي بيروت فنادق للنوم فقط لا تزيد اجرتها عن ستين قرشاً سوريا (عبارة عن ١٥ أو ١٤ قرشاً مصرياً) وهي نظيفة . والخدمة فيها في حاجة الى التحسين . والرجاء من اصحابها الالتفات الى ذلك

والفواكه في المدينة وفي لبنان كثيرة جداً وأصناف العنب فيها لا تقل عن الثلاثين وكل صنف يمتاز عن الآخر بكبر الحجم وحسن الطعم . وفي بلاد الجبل البندق والجوز بكثرة ويقال ان شجرة الجوز الواحدة من الاشجار القديمة تعطي سنوياً نحواً من خمسين الف جوزة . وفيها كل أنواع الخضر خصوصاً الفاصوليا والبطاطه فانهما ممتازان بكبر حجمهما ولذة طعمهما

وأسعار السمك مرتفعة في بيروت لقلته . ويباع اللحم وسائر الاصناف بالاوقية (الاوقية ونصف تساوي ١٠٠ درهم) ويستطيع الغريب ان يدخل الى محلات الشواء فيطلب أوقية من اللحم وهو عادة يباع بغير عظم فيأكلها اما « كباب » أو « كفته » وبعض اصحاب هذه المحال يستعملون السكين في « فرم اللحم »

بقوة الساعد العجيبة . وثمنها ٢٥ قرشاً سورياً أو ٥ ق وش مصرية ويضم ثمن الخبز لها و « السلطه » يكون المجموع ٣٥ قرشاً سورياً . و« السلطة » عبارة عن ورقتين من الخس وأربع قطع من « الطماطم » ويسمونها « بندوره » . وللباعة هناك مطامع في الغريب ولهم في ذلك شهرة يتحدث بها الناس

وفي زمن الصيف يكثر في بيروت رجال الطرب يفدون اليها من مصر ويستأجرون محلات في ضواحي المدينة أو في داخلها ويهرع اليهم أهالى بيروت ولبنان لسماع الغناء المصري . وقد حضرت الى فلسطين وبيروت وأنا هناك « الست منيرة المهدية » والشيخ الصفتي وبعض أصحاب جوقات التمثيل

وفي بيروت مطاعم سورية اسعارها معتدلة تقدم بعد الطعام « القطايف » أو الكنافة ولا تزيد ثمن الاكلة عن ١٥ قرشاً صاغاً على الا كثر أشهرها المطاعم الموجودة في المنشية

وفي لبنان يطبخون الكشك بطريقة تختلف عن صنعه في مصر . فهم يدشون القمح في المطاحن التي تدور بسرعة الماء حتى يصير برغلاً ثم يطحنونه بعد تجفيفه فيصير كالدقيق ثم يضعون عليه المسلى أوالزبدة ويفركونه ويجففونه في الهواء . فاذا أرادوا طبخ الكشك قطعوا اللحم قطعاً صغيرة ووضعوها مع السمن في آنية فاذا استوى اللحم جاءوا بدقيق الكشك

وصبوه في الآنية فوق اللحم . ثم يحركونه ويضعون الماء الكافي وبعد غليه يوزع على اطباق كبيرة ويقدم الكشك وهو سخن الى الآكلين . وقد شاهدنا هذه العملية في مطبخ مطعم أوتيل الصحة في زحلة

اما العائلات المصرية ففي استطاعتها الاقامة في جناح من الفنادق بعيد عن الرجال وهن يتمتعن براحة تامة كأنهن فى بيوتهن ولكن تجد السيدات فى الغالب سافرات يخالطن الرجال فى صالة الفندق وفي محل النزهة . وقد رأيت مصريات على هذه الحال في عين زحلتا

ومن الاشياء التى تستحق الذكر ان المصطافين في أيفندق مالهم الحق فى الانتقال الى جهة بعيدة للنزهة وادارة الفندق ترسل معهم الطاهى لصنع الطعام وقت الغداء ويقوم الخدم بأسباب الراحة

وشارب الخمر لا يجد أمامه الا العرق والنبيذ . وهما من صنع تلك الجهات



الآثار المصرية في لبنان

وجد أخيراً في جبيل من بلاد لبنان آثار مصرية ذكرت في البلاغ الذى نشره مدير البعثة الفرنسوية في لبنان وهذا نصه :

من المعلوم ان المدفن الذي اكتشف صدفة في شباط سنة ١٩٢٢ على صخور جبيل ادى الى دهليز في جوف الارض لم يمكن يومئذ فتحه الى آخره وقد تمكن المسيو مونته من تنظيفه الآن ووجد فيه قبراً جديداً (القبر الثالث) دفن فيه ابن الذى حفر المدفن الاول . وقد وجد في هذا المدفن آنية خزفية نقش عليها (امنمحمت الثالث) (١٨٥٠—١٨٠٠قبل المسيح) ووجد في القبور الجديدة آنيتان عليهما امنمحمت الرابع ابن امنمحمت الثالث وخليفته الذي حكم من ١٨٠٠ — ١٧٩٢ قبل المسيح ويستفاد من هذا طبعا ان ملك جبيل الذى تلقى الهدايا من امنمحمت الرابع هو بنفسه الخليفة المباشر للملك الذي تلقى الهدايا من امنمحمت الثالث وحفر المدفن الذى اكتشف فيه الناووس سنة ١٩٢٢

ان القبر الجديد مؤلف كالقبرين السابقين من بئر محفور في الصخر يؤدي الى صخرة وكانت الحجرة مسدودة بعد الدفن والبئر مملوءا بالادوات والمهمات ومقفلا من اعلاه ببلاطتين فقط

هيكل ليس له من اثر وقد وقى البلاط الحجرة وقاية تامة غير ان الاتربة تسربت من خلال مسام الصخر وتراكت في الحجرة على ارتفاع سنتمتر تقريباً فغطت كل الموجودات

ولا شك ان الناووس كان كسابقه من الخشب المذهب عليه رصائع من الصيني لم يبق منها الا قطع صغيرة ، ولم يبق ايضا الا بعض عظام غير محفوظة تمام الحفظ . وهذا بيان الاشياء التي وجدت :

١ — جرار ودلاء وصحون واطباق من الخزف

٢ — آنية وصحون من البرونز

٣ — آنية من الرخام جميلة الصنع مع غطائها وعليها كتابة هيروغليفية وهي الآتية : « خدام الاله بون ابن الشمس امنمحمت فليمش الى الابد »

٤ — صندوق للحلى طوله اربعة عشر سنتمتراً وعرضه ثمانية مودعة في كتلة من الخزف الفاخر المحلى بالذهب على طراز الناقوس وعلى الغطاء كتابة هيروغليفية محفورة حفرا بديعا وهذه ترجمتها :

« فلبس الاله بون سيد الارضين ملك مصر البحرية والقبليـة مع خرون راع المحبوب من يوم سعيد الهليوبولس الممنوحة له الحياة الابدية »

وقد سقط حجر على الصندوق ففتحه والارجح انه كان يحتوي على الحلى التى وجدت بجانبه وهي :

٥ — (مدالية) ذهبية وحجارة كريمة

٦ — صورة وسلسلة ذهبية (٤و٥ ، ٥) تمثل مرتين الملك جالساً امام الصقر شعار ملوك الفراعنة

٧ — خاتم من الذهب وخنفسة من الحبشة

٨ — لآلي وبلور وجمجمة كان يتألف منها عقود

٩ — سوار ذهبي وخنفسة

١٠ — سوار ذهبي ووجه الى الصندوق حلي واسلحة وشعارات

١١ — صولجان على شكل ساق نبات البردي من خشب وذهب عليه أوان من الفضة تمثل الشمس

١٢ — سلاح من البروز بقبضة ذهبية عليه نقوش مفضضة

١٣ — خنجر ذهبي

١٤ — عصا من ذهب وخشب

١٥ — صولجان من البروز

١٦ — كاس من الحجر

١٧ — « « الذهب

١٨ — طاسة من الفضة

١٩ - وعاء صغير من العظم فيه مسامير من الذهب
٢٠ — وعاء فضي بشكل آنية الشاي
٢١ — وعاء مكسور من الخزف
٢٢ — رصائع ذهبية وقبضات أسلحة وبقايا أشياء لم تعرف ماهيتها بعد

وقد وضعت هذه الآثار (جميعها) كما يقول المسيو مونته داخل بعض الواجهات الزجاجية ، وأقبل الاهالي من كل طبقة وطائفة للتفرج عليها ومشاهدة آثار بلادهم ومافي قبور اجدادهم الاولين من التحف

والذي علمناه من خلاصة مشروحات المسيو مونته عن هذه الآثار لاحد الصحافيين ان عهدها يرجع الى الف و ٨٠٠ سنة قبل المسيح . أما القبور التي اكتشفت فعددها خمسة . وهذه الآثار وجدت في قبرين منها فقط ، وأما موجودات القبور الثلاثة فلم يأت رئيس الحفريات على ذكرها لا في تصريحه هذا ولا في بلاغ الحكومة ولا في لائحة الآثار التي نشرت على صفحات الجرائد

أما الكتابات الهيروغليفية المنقوشة على الهدايا المرسلة من فرعون مصر لملك جبيل فتدل على رقي الصناعة والفن في تلك العصور الغابرة

وفي جملة هذه الآثار صندوق صغير متقن الصنع اسود اللون من الحجر الاسود المعروف بالاسبيدات وهو من الصخور النادرة التي لا توجد الا في بلاد الحبشة وفي جزيرة مالو احدى جزر الارخبيل

وان هذا الصندوق بدقة صنعه وحجره وقدميته نادر المثال في جميع متاحف الدنيا وطوله يزيد عن ٢٠ سنتيمتراً وعلوه عشرة وينتهي غطاؤه بآثار من الذهب المنقوش الخالص

ومن صناعة مدينة جبيل صولجان من البرونز وعليه رسم ثعبان من الذهب اشارة الى شعار امراء جبيل

وهناك أيضاً آنية خزفية عجيبة الصنع وقطع ذهبية وحلى وجدت مبعثرة في القبور ضمن النواويس وخارجها وكله مدفون في خرائب بيبلوس

وقد قال المسيو مونته ايضاً ان هذه الآثار نادرة المثال لايوجد مثلها في مصر ولا في متحف اللوفر ولا في رومية لانها قديمة وهي ستكون الطريق لمعرفة صفحات مطوية كثيرة من تاريخ هذه البلاد في عهد مجدها الغابر

وقبل أن تقوم البعثة الفنية الفرنسية المنتدبة لاستكشاف الآثار في لبنان الكبير باعمالها فى جبيل ببضع سنوات كان مدفن كفر جرة ــ الذي يبعد عن صيدا عشرة كيلو مترات ــ المدفن

الفينيقي الوحيد الذي ظهرت فيه آثار تاريخية ترجع الى عهد القسس أي الى العهد الواقع بين العائلة المصرية الثانية عشرة والعائلة الثامنة عشرة (منذ الجيل الرابع عشر حتى الجيل الثامن عشر قبل الميلاد) وقد استخرجت آثار مدفن كفر جرة لاول مرة سنة ١٩١٤ يوم قام بهذه المهمة الدكتور كونتنو ومكريدي بك واستخرج علماء الآثار من ذلك المدفن قطعاً عديدة من رياش المدافن تشبه رياش مدافن الاسرائيليين القدماء في فلسطين وعثروا أيضا على كمية كبيرة من الجمران بعضها من حجارة الجشت والآخر من الحجر الكلسي . ومع كل ما كانت عليه تلك القطع التاريخية من الاهمية فهي لم تكن سوى فضلات بقيت في تلك المدافن التي تشتتت وتحطمت موجوداتها في الماضي

وبعد هذا فلما كانت هنالك فائدة من بحث مدفن كفر جرة مرة ثانية للحصول على معلومات عن العلاقات القديمة بين سورية ومصر ، فقد عهدت ادارة الآثار في لبنان الى احد افرادها المسيو كيك في القيام بهذه المهمة فنجح نجاحا باهرا اذا استكشف مدفنين وجد في كل واحد منهما هيكل الميت مطروحا على الارض ورجلاه مطويتان وراسه ملقي على حجر

ويتالف رياش المدفن من عدد كبير من آنية خزفية مزينة بعضها بدائرة ملونة . وعثروا ايضا على بعض الاواني من

البرونز وعلى بعض الاسلحة من خناجر ونصال وفئوس وكلها بوجه التقريب بحالة حسنة

ووجدوا خمسة أحجار كلسية يمثل كل واحد منها شكل الجعران ويرجع عهدها الى أيام القسس مع طابع بشكل عمودين وستعرض هذه الآثار الجميلة قريبا فى متحف بيروت

*
* *

وعلى ذكر الآثار في جبيل نذكر انه قبل قيامنا من فلسطين علمنا ان مصلحة الآثار الفلسطينية وجدت ناووساً بديعاً من الرخام يشبه الناووس الموجود في متحف الاستانة والذي يقال انه ناووس الاسكندر الكبير . اما هذا الناووس فوجد في تل براق عند نهر التمساح بين قيصرية وطنطور وهو عظيم الزخرف مثلت على احد جانبيه معركة بين اليونانيين والنساء المترجلات كما في احدى الخرافات . وهو يفوق من الوجهة الفنية كل ماوجد في فلسطين حتى الآن

مصايف لبنان

متى وصلت الى بيروت كان في امكانك الذهاب الى أي بلد من مصايف لبنان . والمصايف كلها قرى حبتها الطبيعة بابهى منحها واجلها وانفعها ، فمن مواقع بديعة الى غابات خصبة الى

ينابيع ماء متفجرة الى هواء بليل واجور السيارات قليلة . ومهما اشتد طمع سائقها ورفع الاجور على الاجنبي فبالسيارة يقدر المصطاف ان يصل في ساعتين أو أكثر الى المدن الكبيرة كطرابلس ودمشق وصيدا . والى القاريء وصف بعض مدن لبنان

الارز والباروك والبترون وبحمدون

غابة بالقرب من بشرّي تشتمل على أكثر من ٤٠٠ شجرة بعضها كبير وبعضها صغير وموقعها في مكان منفرد في منخفض من سلسلة لبنان يبعد عن البحر ٤٥ كيلو متراً وارتفاعه عن سطحه ١٩٢٥ متراً

وزرنا ونحن هناك بلدة « الباروك » في قضاء الشوف والبترون وهي من المدن القديمة وزرنا كذلك بحمدون ولبثنا فيها ثلاث ليال سويا والوصول لها من بيروت في مسافة ساعة

اهدن

بلدة جميلة جداً موقعها في سفح جبل المكمل الى الجنوب الشرقى من طرابلس الشام على ارتفاع ١٤٤٥ متراً تشرف على طرابلس ومايجاورها من البلاد وبقربها متنزهات غاية فى الفخامة

والجمال ، يجري فيها نبع مار سركيس . وتمتاز هذه البلدة بكثرة بساتينها . واشهر ينابيعها نبع مار سركيس وعين مسعود والدقية والعين الباردة وعين النعص والخندق والرويسة وعين التفاحة ونبع جوعيت وسمى هذا الاخير كذلك لان الذي يشرب ماءه يجوع وهذا دليل على انه يساعد على الهضم

وجميع هذه الينابيع محاطة بالاشجار الباسقة وكانت تعرف البلدة قديماً بامهدن الجوز وهواؤها جاف منعش . وفيها ابنية جميلة فخمة واكثرها للايجار في الصيف وفيها جملة فنادق حسنة نظيفة ولها مجلس بلدي وفيها اطباء وصيدلية . وكذلك فيها كثير من السيارات والعربات . ويؤمها المصطافون بكثرة . وفيها مدرسة للبنات

برمانا

بلدة من قضاء المتن على نحو ربع ساعة من بيت مري . وهي جيدة الهواء جميلة المنظر وموقعها يطل على بيروت وساحل البحر يوجد فيها حراج الصنوبر بكثرة زائدة وفيها منازل جميلة جداً واكثرها مفروش فرشاً حسناً ومياهها عذبة وصحية وفيها فنادق من الطراز الاول احسنها فندق بونفيس وفيها مكتب للتلغراف ومثله للبريد والسيارات فيها متوفرة . والوصول لها من بيروت بالسيارة وهى تستغرق ساعة من الزمن وتبعد ٢٥ كيلومتر

بسكنتا

بلدة عامرة في سفح جبل صنين ومتى قلنا ذلك فلا حاجة الى وصف مائها البليل وهوائها العليل يسكنها ماينيف على الاربعة آلاف نفس . وهي قائمة على ربوة تحيط بها الجبال والآكام وتبعد عن بيروت ساعتين وربع بالسيارة ، وتعلو عن سطح البحر مايقدر بالف ومائتي متر في بعضها والف وثلاثمائة في البعض الآخر — فيها العمارات الفسيحة المبنية بالحجارة البيضاء والمسقوفة بالقرميد ، المؤلفة من عدة طبقات بشرفات تطل على غابات الصنوبر والسنديان والكروم والبساتين التى تتخللها وتكتنفها من كل جهاتها . واهم ماتمتاز به هذه البلدة خلوها من المستنقعات ـ دورها متفرقة عن بعضها مما يجعل هواءها صافياً لايشوبه كدر . ولها سوق في وصطها على جانبي طريق المركبات

*
* *

حصرون

تعد من أجمل قرى شمالي لبنان وقد اشتهرت بدماثة اخلاق سكانها وعذوبة مائها وبليل هوائها وقد يخالها الناظر بغضة بساتينها كروضة غناء ولا بدع اذا قيل فيها بانها سويسرة لبنان . تبعد عن طرابلس ثلاث ساعات بالسيارة . ارتفاعها عن البحر

١٣٠٠ متر بيوتها على الطرز الحديث معظمها حاو لاربع غرف ودار ومطبخ يجد المصطاف في ربوعها سبل الراحة مع رفاه المعيشة — تصلها طريق السيارات بطرابلس وبيروت وباقي قرى الشمال كبشرّي واهدن . تبعد عن ارز لبنان الشهير نحو ساعتين . فيها مركز رئيسي للبوسطة وبقربها محطة للتلغراف — وباختصار يتمتع فيها المصطاف مع قلة النفقات بلذة المعيشة وطيب الحياة

حمانا وشاغورها

قصبة المتن الاعلى قائمة في لحف جبل الكنيسة وفي صدر الوادي الجميل المعروف باسمها أي وادي حمانا . تعلو عن سطح البحر الف ومائة متر كثيرة البساتين والرياض طيبة الهواء عذبة الماء فيها اكثر من ثلاثمائة ينبوع كلها أصفى من اللجين



جدول السيارات

من حيفا الى البلاد الآتية

اسماء البلاد	كيلو متر	الوقت دقيقة	ساعة	سيارة ٤ اشخاص	سيارة ٦ اشخاص
الناصرة	٣٠	٠٠	١	٨٠	١٢٠
طبريا	٥٧	٤٠	١	١٧٥	٢٥٠
القدس	١٥٠	٣٠	٤	٤٠٠	٥٥٠
الكرمل	١٢	٣٠	٠	٦٠	٩٠
عاليه	١٩٧	٠٠	٥	٦٥٠	٩٥٠
عين صوفر	٢٠٥	١٥	٥	٧٠٠	١٠٠٠
زحلة	٢٣٠	١٥	٦	٧٥٠	١١٠٠
سوق الغرب	٢٠١	١٠	٥	٦٥٠	٩٥٠
بحمدون	٢٠٢	١٠	٥	٦٧٥	١٠٠٠
حمانا	٢٠٧	١٥	٥	٧٠٠	١٠٠٠
فالوغا	٢١٠	٢٥	٥	٧٠٠	١٠٠٠
ظهور الشوير	٢١٥	١٥	٦	٧٠٠	١٠٠٠
كفر عقاب	٢٢٠	٣٠	٦	٧٥٠	١٠٥٠
بعلبك طريق زحله	٢٦٠	٣٠	٧	٩٠٠	١٢٥٠
دمشق طريق طبريا	٢٣٠	٠٠	٦	٨٠٠	١٢٠٠
بيت مري	١٩٧	٠٠	٥	٦٥٠	٩٥٠

تابع جدول السيارات

من حيفا الى البلاد الآتية

اسماء البلاد	كيلو متر	الوقت		سيارة	سيارة
		ساعة	دقيقة	٤ اشخاص	٦ اشخاص
برمانا	٢٠٠	١٠	٥	٦٥٠	٩٥٠
بكفيا	١٩٧	٠٠	٥	٦٥٠	٩٥٠
ريفون	٢٠٥	٣٠	٦	٨٥٠	١٢٠٠
جزين	١٦٠	٣٠	٥	٧٠٠	١٠٠٠
بكاسين	١٦٠	٣٠	٥	٧٠٠	١٠٠٠
جديدة مرجعيون	١٧٠	٣٠	٥	٧٠٠	١٠٠٠
دير القمر	١٧٥	٠٠	٦	٨٥٠	١٢٠٠
بيت الدين	١٧٧	١٥	٦	٨٧٥	١٢٥٠
بعقلين	١٨٠	٣٠	٦	٩٠٠	١٣٠٠
الباروك	١٩٠	٠٠	٧	٩٢٥	١٣٥٠
عين زحلتا	١٩٥	١٥	٧	١٠٠٠	١٤٠٠

اجور السيارات

من مدينة بيروت الى البلاد الآتية اسماؤها

اسماء البلاد	كيلو متر	الوقت دقيقه	الوقت ساعة	سيارة ٤ اشخاص	سيارة ٦ اشخاص
الباروك	٥٨	١٥	٢	٢٩٠	٤٠٠
البترون	٦١	١٥	٢	٢٥٠	٣٥٠
الغينه	٤٥	٤٥	٢	٢٢٥	٣٤٠
جديدة المتن	٧	١٥	٠	٦٠	٨٠
الحدث	٥	١٥	٠	٥٠	٧٥
الخنشارة	٣٥	٣٠	٠	٢٥٠	٣٥٠
الدامور	٢٦	٠٠	١	٨٠	١٠٠
الدعان	١٢٤	٤٥	٤	٧٠٠	٩٠٠
الشويفات	١٦	٤٥	٠	٥٠	٧٥
الشوير	٣٧	٠٠	٢	٢٥٠	٣٥٠
الكفور	٤٢	٣٠	٢	٢٥٠	٣٥٠
الكورة	٧٢	١٠	٣	٦٠٠	٨٠٠
المختارة	٦٥	٣٠	٢	٣٠٠	٣٥٠
اهدن	١٣٥	٠٠	٥	٧٠٠	٨٠٠
المروج	٣٨	٠٠	٢	٢٥٠	٣٥٠
انطلياس	٩	٢٥	٠	٥٠	٧٥

تابع اجور السيارات

من مدينة بيروت الى البلاد الآتية

اسماء البلاد	كيلو متر	الوقت دقيقه	ساعة	سيارة ٤اشخاص	سيارة ٦ اشخاص
بتغرين	٣٧	٥٠	١	٢٥٠	٣٥٠
بحمدون	٢٧	٠٠	١	١٠٠	١٥٠
بحنس	٢٥	١٥	١	١٢٠	١٥٠
بسكنتا	٤٧	١٥	٢	٢٧٥	٣٧٥
بكاسين	٦٤	٠٠	٣	٣٠٠	٤٠٠
بكركى	٢٨	١٥	١	١٠٠	١٥٠
بعبدات	٢٥	١٠	١	١٥٠	٢٠٠
بكفيا	٢٩	١٠	١	١٢٠	١٦٠
بعلبك	٧٠	٠٠	٣	٥٥٠	٧٠٠
برمانا	٢١	٠٠	١	٠٢٥	١٧٠
بتاتر	٣١	١٥	١	١٥٠	٢٠٠
بيت الدين	٦٦	٢٥	٢	٣٠٠	٤٥٠
بيت مري	١٨	٥٠	٠	١٠٠	١٥٠
بعقلين	٦٨	٤٥	٢	٣٠٠	٤٥٠
بمكين	٢٤	٠٠	١	١٠٠	١٥٠
بشراى	١٤٠	٠٠	٥	٦٠٠	٨٠٠

تابع اجور السيارات

من مدينة بيروت الى البلاد الآتية

اسماء البلاد	كيلو متر	الوقت دقيقة	ساعة	سيارة ٤ اشخاص	سيارة ٦ اشخاص
بيت شباب	٢٩	١٠	١	١٠٠	١٥٠
جديدة مرجعون	٧٠	٣٠	٤	٣٠٠	٤٠٠
جزين	٦٨	٠٠	٣	٣٠٠	٤٠٠
جسر القاضى	٣٥	٤٥	١	١٢٠	١٨٠
حريصا	٣٠	٣٠	١	١٢٠	١٦٠
حصرون	١٣٧	٣٠	٤	٦٠٠	٨٠٠
حمانا	٣٢	١٥	١	١٥٠	٢٠٠
دوما	١١٠	٠٠	٤	٥٠٠	٦٥٠
دير القمر	٦٥	١٥	٢	٢٥٠	٣٢٥
دمشق	١٤٦	٠٠	٥	٥٠٠	٧٥٠
ريفون	٤٠	٠٠	٢	٣٠٠	٤٥٠
رشميا	٣٣	٣٠	١	١٥٠	٢٠٠
راس المتن	٤٢	٠٠	٢	٢٠٠	٢٦٠
زحلة	٥٨	٣٠	٢	٢٩٠	٤٢٠
زغرتا	١٢٠	٣٠	٤	٣٢٥	٤٢٥
سوق الغرب	٢٥	٠٠	١	١٢٠	١٦٠

تابع اجور السيارات

من مدينة بيروت الى البلاد الآتية

اسماء البلاد	كيلو متر	الوقت دقيقة	ساعة	سيارة ٤ اشخاص	سيارة ٦ اشخاص
شرتون	٣٥	٤٥	١	١٥٠	٢٠٠
شاغور حمانا	٣١	٣٠	١	١٥٠	٢٠٠
ضبية	١٤	٣٠		٥٠	٧٥
ظهور الشوير	٣٥	٤٥	١	٢٥٠	٣٥٠
طرابلس	١١٠	١٥	٣	٣٠٠	٤٥٠
عاليه	٢١	٥٠		١٠٠	١٥٠
عاريا	١٦	٤٠		١٠٠	١٥٠
عازور	٦٤	٠٠	٣	٣٠٠	٤٠٠
عبيه	٣٤	٣٠	١	١٥٠	٢٠٠
عشقوت	٣٩	٠٠	٢	٣٠٠	٤٥٠
عين صوفر	٣١	١٠	١	١٥٠	٢٠٠
عين تراز	٣٣	٣٠	١	١٧٥	٢٢٥
عينات	٣٢	٣٠	١	١٢٥	١٦٠
عيتاب	٢٨	١٠	١	١٢٥	١٦٠
عينطورة المتين	٤٢	١٠	٢	٣٠٠	٤٢٥
عين عنوب	٢٠	٥٠		١٠٠	١٥٠

تابع اجور السيارات

من مدينة بيروت الى البلاد الآتية

اسماء البلاد	[illegible]	الوقت		سيارة ٤ اشخاص	سيارة ٦ اشخاص
		دقيقة	ساعة		
عين الرمانة	٢٣	٠٠	١	١٠٠	١٥٠
عين زحلتا	٤١	٥	٢	٣٠٠	٤٢٥
عين عار	٢١	٤٥		١٢٠	١٥٠
غسطا	٣٤	٤٥	١	١٥٠	١٨٠
غزير	٣٢	٣٠	١	١٥٠	٢٠٠
فالوغا	٣٥	٣٠	١	١٧٥	٢٥٠
فيطرون	٤٣	١٥	٢	٣٥٠	٤٧٥
قرنة شهوان	٢٢	٠٠	١	١٠٠	١٥٠
قرنايل	٤٦	٠٠	٢	٢٠٠	٢٥٠
كفر عقاب	٤٢	٠٠	٢	٢٢٥	٣٠٠
كفر شيما	١٨	٤٥		٥٠	٧٥
نبع الصفا	٣٩	٥٠	١	٢٠٠	٣٠٠

اجور السيارات باليومية

ان لشركة نارن سيارات فخيمة ذات الاربعة مقاعد وستة مقاعد وهي تؤجرها باليومية لمن يرغب السياحة في لبنان بالاسعار الآتية :

٤٥٠	يومية	سيارة	من	٣	الى	٥	ايام	لاربعة	اشخاص
٤٠٠	»	»	»	٦	»	١٠	»	»	»
٦٠٠	»	»	»	٣	»	٥	»	لستة	»
٥٥٠	»	»	»	٦	»	١٠	»	»	»

اما الاجرة عن الشخص الواحد من حيفا الى بيروت بالسيارة فهي ١٥٠ غرشاً ويمكن للمسافر الاتفاق مع الشركة على نقله الى اي بلد في لبنان باضافة قيمة معتدلة توازي المسافة التي يرغب قطعها

الاجور على خطوط فلسطين

	القنطرة						حيفا						القدس						يافا						دمشق الشام					
	اولى		ثانيه		ثالثه		اولى		ثانيه		ثالثه		اولى		ثانيه		ثالثه		اولى		ثانيه		ثالثه		اولى		ثانية		ثالثة	
	مليم	ج	مليم	ج	مليم	ج	مليم	ج	مليم	ج	مليم	ج	مليم	ج	مليم	ج	مليم	ج	مليم	ج	مليم	ج	مليم	ج	مليم	ج	مليم	ج	مليم	ج
القنطرة	—	٠	—	٠	—	٠	٧٣٥	٣	٤٩٠	٢	٢٤٥	١	١٤٥	٣	٠٩٥	٢	٠٥٠	١	٨٥٥	٢	٩٠٥	١	٩٥٠	٠	١٣٥	٦	٠٩٠	٤	٠٥٠	٢
حيفا	٧٣٥	٣	٤٩٠	٢	٢٤٥	١	—	٠	—	٠	—	٠	٤٠٥	١	٩٤٠	٠	٤٧٠	٠	١٢٠	١	٧٤٥	٠	٣٧٥	٠	٤٠٠	٦	٦٠٠	١	٨٠٥	٠
القدس	١٤٥	٣	٠٩٥	٢	٠٥٠	١	٤٠٥	١	٩٤٠	٠	٤٧٠	٠	—	٠	—	٠	—	٠	٥٣٠	٠	٣٥٠	٠	١٧٥	٠	٨٠٥	٣	٥٤٠	٢	٢٧٥	١
يافا	٨٥٥	٢	٩٠٥	١	٩٥٠		١٢٠	١	٧٤٥	٠	٣٧٥	٠	٥٣٠	٠	٣٥٠	٠	١٧٥	٠	—	٠	—	٠	—	٠	٥٢٠	٣	٣٤٥	٢	١٨٠	١

بكفيا

ومن بلاد لبنان الجميلة بكفيا ، وهي من المصايف الجميلة ترتفع عن سطح البحر نحو ٩٢٠ متراً ، ويكثر فيها احراج الصنوبر والسنديان . وقد زرناها فوجدناها من أحسن البلاد مناخا ومياهها مقوية بعضها فاتر توصف لامراض الجهاز البولي والرمل الكلوي والآلام المفصلية . وقد ورد عنها في دليل مصايف لبنان الوصف الآتي بقلم الاديب عبد الله حشيمة :

بكفيا — احدي المدن اللبنانية الصغرى ، علوها عن مياه البحر ٩٤٠ متراً وقد لا تبعد عن بيروت أكثر من عشرين كيلو متر — شمالاً بشرق — على ان هذه المسافات على قصرها فيما اذا قيست بغيرها من المسافات الشاسعة التي تفصل بقية المدن والقرى اللبنانية عن العاصمة ، قد أصبحت بفضل السيارات وطرقها الجيدة ، ولبكفيا منها العدد الوافي ، سهلة على الزائر بحيث يجتازها في نزهة لطيفة تقشع عن النفس غيوم الضجر وتبدد عن القلب هموم الحياة وأتعابها

واذا نظرت الى بكفيا من حيث الجمال الطبيعي كان لها منه قسطها الاوفر مما حمل الكثيرين من عشاق الطبيعة وذوي الذوق السليم في اسرار جمالها على تسميتها عدلاً « بعروس لبنان وبستان سلواه ! »

ينظر القادم عن بعد اليها فيرى قصورها الشماء ومنازلها البيضاء وفنادقها الفخمة ، وقد انتثرت بين نهدي ذلك الجبل المتني متأملة بما انبسط أمامها من سهول ساحلية خضراء وارتفع من قمم جبال شماء وانخفض من بطون أودية عميقة ، فيخيل له أنه انما هو على ابواب مدينة غربية الظاهر شرقية الباطن ، وقد لا تفضل اولاهما الثانية بسوى غناها المادي ، على ان هذه قد تفضل الأولى بسكينتها الساحرة وسذاجتها الفطرية فضلاً عن كونها لو أتيح لها ما لتلك من العوامل المشجعة على النهوض لرأيتها سباقة بما فيها من هواء نقي ومياه عذبة الى ما لا يشق لها الغير في مضماره غباراً

منتزهات هذه المدينة الصغرى عديدة ، أشهرها منتزه دير القديس يوسف في بحر صاف فالدرجة العالية ، فالنعص ، فخاووز السناد ، فالدلب ، فالسبورتين كلوب ، فعين الحاج الياس . وهذان الاخيران منها اذا جاز لنا التفضيل كانا في مقدمة الجميع موقعاً وجمالاً خصوصاً الاخير منها وهو المنتزه الذي كان ولم يزل موعداً لاهل الانس والطرب من كرام المصطافين والاهلين على اختلاف طبقاتهم ، يقصدونه لشهرته من مختلف مصايفهم فيجدون فيه الماء العذب والهواء النقي عدا المناظر الجميلة وما أعده أصحاب المحل فيه من اسباب الراحة وأنواع المآكل والمشارب

لزائريه ، ومما يزيد هذه المنتزهات رونقاً وجمالاً هو اشرافها من على البحر المنبسط تحت أقدامها ، ناهيك عن مناظر سهول بيروت الخصبة وجبال كسروان الشامخة

مياهها في غاية العذوبة ، تتدفق من عيون غزيرة فتجري بين المنازل والربوع جريان الدم في جسم الانسان ، وقد عرف بعد طويل الفحص والاختبار ان أكثر هذه المياه صحية ، وأشهر تلك العيون هي ، عين الحية ، فعين القبو ، فنبع قشقوش ، فعين مخايل ، فعين الجرن ، فعين الفارة ، فعين الريحانة ، فالنعص . وهذا الينبوع الاخير منها من الغزارة بمكان جعل الكثيرين من مصلحي هذه البلدة أن يفكروا بضبط مياهه فتوزيعها على المنازل ، وقد كادوا يظهرون هذه الفكرة الى حيز العمل - مع فكرة انارة البلدة بالكهرباء - لولا ظروف قاهرة جعلتهم يؤثرون التأجيل على التعجيل

فنادقها فخمة ، متقنة ، ثمينة الرياش ، شديدة النظافة ، ما زارها مصطاف الا وعاد منها مكبراً همة أصحابها ومديريها على ما يبذلون من العناية التامة في سبيل راحة المصطافين فضلا عن الكماليات التي يسعون دائماً لايجادها ، كالسينماتوغراف وخلافه في سبيل التفكهة والسلوى ، وأشهر تلك الفنادق ، فندق مصر ، فالكونتيننتال ، فنابليون پالاس أوتيل ، فلبنان الكبير ،

فمصايف لبنان ، فالمنظر الجميل

وانه ليضيق بنا المقام عن وصف كل ما لهـذه المدينة من المحاسن والمزايا وما فيها من اماكن لهو ، كميادين سباق للفرسان ، وملاعب للتينس وكرات القدم مما يجعلها في طليعة المدن اللبنانية استعداداً للنجاح والرقي اللذين تنتظرهما البلاد من وراء ثروتها الطبيعية

على انا نرى من بني لبنان وطن الأرز نزعة قومية ترمي الى تعزيز شأن هـذا المورد الجليل ، مورد الاصطياف ، الذي انما هو ثروة لبنان الكبرى ان لم تكن الوحيـدة ، فيقدمون افراداً وجماعات على تشجيع القائمين ببث دعوته في الداخل والخارج بكل الوسائل الممكنـة ، محولين وجهة انظارهم عن مصايف الغرب التي قد لا تفوق مصايف بلادهم بشيء ، سوى انها غربيـة وفينا الميل الى كل ما هو غربي ، فيتوافدوا بأهلهم وصحبهم وكل محب للاصطياف ليتمتعوا بمناظر لبنان الجميلة الساحرة الخ الخ

برمانا

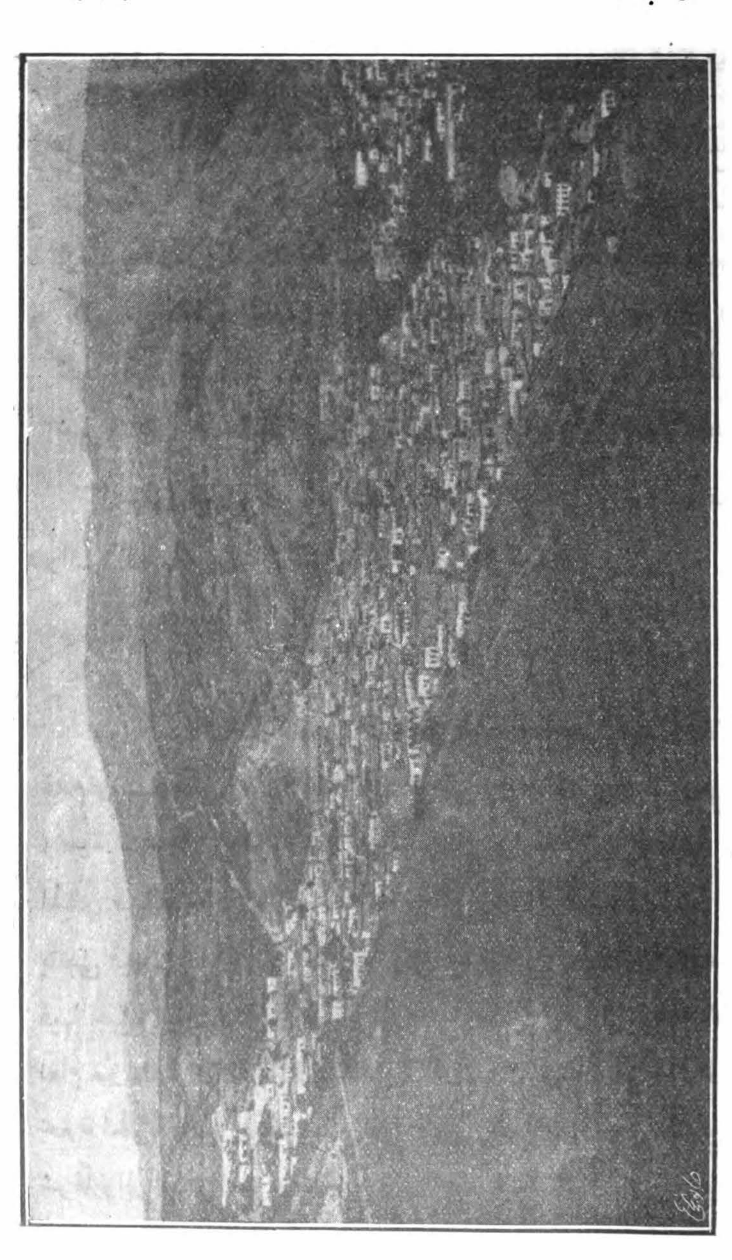
هي بلدة جميلة واقعة على رابية شرقي بيروت فوق البحر وتعلو عنه نحواً من ٧٩٠ متراً . هواؤها نشيط وماؤها عـذب تحيط بها الغابات من كل جهة لاسيما غابات الصنوبر وهي تقسم

الى قسمين عين السلام وهو القسم الاكثر ملاءمة للمصطافين بيوته مفروشة وحولها الجنائن وهي اشبه منها بالفيلات والبلدة الاصلية وبيوتها متلاصقة وكثير منها معدة للايجار . وفي عين السلام فندقان يعدان من الدرجة الاولى فندق بو تفيس وفندق سلملز وفيها اربعة دور للعب التنس . هـذه البلدة تبعـد عن بيروت نحواً من ٤٠ دقيقة بالسيارة . مواصلاتها منظمة وفيها مكتب للبريد والتلغراف . اطباؤها مشهورون واجزاخاناتها عامرة .

زحلة

مدينة من أهم مدن لبنان وهي واقعة على رابيتين مستطيلتين يعلوان عن سطح البحر نحواً من ٩٥٠ متراً ويفصل بينهما نهر البردوني الشهير ، وهـذه المدينة حسنة التنظيم عامرة المباني دورها فخمة متقنة مرصوفة على جانبي النهر بشكل يجلب اليه الانظار ، فيها الفنادق الجميلة والمنتزهات الكثيرة وسوقها كبير وبقولها متوفرة وهي مشهورة بفاكهتها لاسيما العنب والبطيخ الوارد اليها من سهل البقاع ، أهلها متصفون بحبهم للغريب وهم من اكثر اللبنانيين اقبالا على العلم واقتباساً للمدنية الغربية دون ان يفرطوا في المحافظة على تقاليدهم الوطنية وعاداتهم القومية

مناخ هذه المدينة جيد جـداً وهواؤها جاف وهي تشرف



مدينة زحلة

على سهل البقاع ويحيط بها من الغرب سلسلة من الجبال تمنع عنها رطوبة البحر . مواصلاتها منظمة وموفورة . السيارات تؤمها بكثرة والسكة الحديدية تمر بجارتها معلقة زحلة وفيها كثير من الاطباء المشهورين والاجزاخانات الكبيرة والمصطافون يقصدونها بكثرة لاسيما في شهر سبتمبر للتمتع بعنبها اللذيذ . اشهر فنادقها فندق القادري وفندق الطرابلسي وفندق الصحة

وسيأتى فيمايلي وصف زيارتنا لهذه المدينة الجميلة ووصف واديها اللطيف وقد نزلنا فى فندق الصحة فيها

جديدة مرجعيون

من اعمال لبنان الجنوبي تعلو عن سطح البحر نحو ٢٨٠٠ قدم والمسافة من حيفا اليها كالمسافة من حيفا الى بيروت وهي وفيرة المياه طيبة الهواء كثيرة الخضر والفواكه على اختلافها . المباني فيها قائمة على مرتفعات مشرفة على سهول فسيحة خضراء يتجلى فيها جمال المناظر الطبيعية بكل معانيه . طرق المواصلات فيها جيدة جداً بواسطة السيارات فبينا انت جالس في بيتك او امام منزلك ترى نفسك كانك بين الرياض يصل نظرك منه الى بحيرة الحولة فطبريا جنوباً والى جبل الجولان وجبل الشيخ شرقاً والى البحر المتوسط غرباً والى جبل لبنان شمالاً وفيها من

للمنتزهات ما لامثيل له في غيرها . وفوق كل هذه المحاسن فان المعيشة فيها رخيصة جداً واجور المنازل رخيصة كذلك حتى ان المصطاف هناك يعيش عيشة هنيئة واسعة

وتحتوى لبنان عدا ذلك على مصايف جميلة اشتهرت كلها بفائدتها الطبية وفي اكثرها منازل معدة للايجار والوصول اليها كلها من بيروت او من دمشق بالسيارات

شركة مصايف لبنان

ومن احسن المشروعات الوطنية التي تأسست لتسهيل السفر للمصريين شركة مصايف لبنان

تأسست فى القاهرة شركة مصايف لبنان عام ١٩١٣ وغايتها الاولى انماء التعاون الاقتصادي بين الاقطار الشرقية وتوثيق اواصر الالفة والتآخي بين ابنائها غير ان الحرب العالمية الكبرى حالت دون نفاذ هذا المشروع الجليل . ولكن ما كادت الحرب ان تنتهي حتى نشط اصحاب المشروع وشمروا عن ساعد الجد يسعون لبلوغ المرام واظهار مشروعهم بشكل جديد وحيثية بارزه فتمكنوا في ربيع سنة ١٩٢٢ بادخال عامل جديد ومالي نشيط سلموه زمام العمل الذي اخذ عندئذ يخطو خطوات واسعة الى الامام

رأى اعضاء هذه الشركة ان الحواجز دون الوصول الى الغاية الشريفة المذكورة قبلا مسببة عن عظم مشقات السفر بين هذه الاقطار وكثرة نفقاته وعدم وجود التعارف الذي يجب ان يكون بين اقطار متجاورة يتكلم اهلوها لغة واحدة وعوائدهم واحدة ، فسعوا لازالة هذه الحواجز وكان اول مسعى لهم اخذ توكيل من ادارة سكك حديد فلسطين بعقد مؤرخ في ٢٠ مايو سنة ١٩٢٢ بصرف تذاكرها في مكاتب الشركة وجعل هذه التذاكر تخدم لمدة طويلة يمكن للمسافر في اثنائها النزول في المحطات على خط السفر يوم أو أكثر ومتابعة السفر بعدها بدون ادنى تعب او تحمل مصروف زيادة . ثم عينوا مندوبين للشركة في القنطرة وحيفا والقدس وبيروت يخدمون المسافرين ويسهلون لهم نقل الامتعة في المحطات ، كما انهم سيروا سيارات متينة تقل المسافرين وامتعتهم بين حيفا وبيروت ولبنان . هذا من حيث تخفيف مشقات السفر وتخفيض نفقاته واما من حيث التعارف فقد كانت الفرصة مناسبة عندئذ لنشر الدعوة عن جبال لبنان ومصايفها الشهيرة اذ كان الصيف على الابواب فطبع اعضاء هذه الشركة دليلا هنا يشرح مميزات لبنان الطبيعية ومزاياه كمصيف للاقطار الشرقية عامة ومصر خاصة ونشروا الاعلانات في الجرائد ووزعوا النشرات في البيوت والمجالس العامة فنجحوا نجاحاً باهراً اذ اتتهم

كتب التشجيع والتحبيذ من كل صوب تستحسن العمل وتستحث الهمم للسير فيه

ونحن نسجل لها في هذه الرحلة الشكر ونثنى علي مديرها الفاضل ووكلائها ونحث المصريين على معاملتها لان لها فوائد كثيرة لايعرفها الا السياح امثالي

* * *

جاهد مفكرو جبل لبنان في جعل بلادهم مصائف للشرقيين عامة وللمصريين خاصة فاقاموا الفنادق الجميلة على روابي الجبال بين الاشجار الباسقة من الصنوبر والسنديان والبلوط والجوز والكروم . واهتمت الحكومة القابضة على زمام السلطة سواء كان في أيام الاتراك أو بعد ذلك في اصلاح الطرق وجعلها صالحة للسيارات والعربات ورشها وفرشها بتراب اسود وبرصف ما يتخرب منها بالزلط حتى لايثور الغبار فيتأذى منه المصيفون ووزعت الجندرمة بين القرى والمدن توزيعا يؤدي لوقاية الارواح والاموال — مع أن الوقاية موجودة والامن مستتب والمصيف آمن على نفسه وماله بغير حارس الا الله جل شأنه . وتم الاتفاق على تخفيض اجور الفنادق الفخمة التي تقدم الطعام والشراب للمصيفين بأثمان زهيدة لدرجة يستطيع المصيف في لبنان الاقامة في ربوعه مدة من الزمن بغير كبير نفقة ولا ارهاق

ولا اعنات . وسهلت المواصلات بوجود السيارات الكبيرة والصغيرة لنقل الركاب من بيروت الى المصايف باجور رخيصة أقل من اجور المسافات في مصر بنحو النصف أو أكثر فينتقل الراكب من بيروت الى زحلة أو دير القمر بأقل من نصف جنيه اذا كان مع ركاب مع أن المسافة في السيارة السريعة لا تقل عن ساعتين ونصف ساعة بين صعود وهبوط ومناظر تقر الاعين وتزيل الاكدار — ويعود الفضل الاكبر في تسهيل هذه المواصلات وتخفيض اجور السفر في البحر الى النصف وتحديد اجور الفنادق وراحة المصيفين الى شركة مصايف لبنان التي تألفت قبيل الحرب لنقل المصيفين من القطر المصري الى جبل لبنان وقد ذكرنا في الصحيفة ٨٢ فصلا عن المطاعم والفنادق والاجور وثمن الاكل

وجنى المصريون في هذه السنة والسنة التي تقدمتها فوائد هذا النجاح

ولو أن الحكومة اللبنانية وجهت عنايتها الى اصلاح باقي طرق أقاليم الجبل لكان من وراء هذه العناية سعادة سكان البلاد . فقد ام جبل لبنان في هذه السنة ـ بالرغم من تهويل احدى الصحف في مصر بالاخبار المزعجة والحوادث المكدرة التي وقعت في بعض بلاد الجبل ـ ثلاثة آلاف مصري صرف

الواحد منهم على أقل تقدير ٥٠ ج . م فيكون مجموع ما صرف في المصايف ١٥٠ الف جنيه . م وهو مبلغ لا يستهان به ويزداد كثيراً على مرور الايام اذا وجهت الحكومة عنايتها الى اصلاح الطرق في اقليم كسروان . فالطرق من جورة الترمس وغبالة الى يحشوش والقرى المجاورة لها في حاجة الى الاصلاح . ففي هذه البلاد وجبالها توجد المياه الصحية ، ذات المنافع الطبية العديدة والمواد المعدنية النافعة فضلا عن ان الماء بارد ولذيذ الطعم . وتوجد المناخات الجميلة والمحصولات الرخيصة والصدق في القول وحسن المعاملة . فاذا تم اصلاح طرق بلاد كسروان كان من وراء هذا الإصلاح فائدة لاهالي القضاء المذكور ومنفعة للمصيفين الذين يقصدون جبل لبنان كما هو الحال في قضاء الشوف

وغني عن البيان ان اهالي هذه البلاد كغيرهم من اهالي جبل لبنان يدفعون الضرائب الكثيرة على المحصولات والمواشي وكل شيء تنتجه الارض أو ينبت من الشجر فوق اعالي الجبال . وهم يرنون بابصارهم الى نوابهم ورجال الدين منهم ومشايخهم والى الزعماء الذين تولوا قيادتهم واصحاب النفوذ والكلمة المسموعة لدوام السعي وبذل الجهود للاتفاق مع ناظر النافعة واقناعه بضرورة انشاء الطرق لانها هي الواسطة الوحيدة التي تجعلهم

يحيون حياة طيبة ويعود على بلادهم بعض الفائدة التي تعود على سكان الاقاليم الاخرى

سمعت من بعضهم اثناء وجودي في غبالة ويحشوش ان الحكومة كانت وعدتهم باصلاح طرق بلادهم وانشاء طريق للسيارات وانها فعلا قررت الاعتماد في الميزانية وكان ذلك قبل نشوب الحرب . ولكن الحرب خيبت آمالهم بفقد اكثر ابناء البلاد اما بالجوع أو بالمهاجرة ، أو بان الحكومة وجهت عنايتها الى بعض البلاد وتركت البعض الآخر

فكأنها تناست وجودهم ولهت عنهم بما عندها من الامور الاخرى . مع ان كل أمر يجب ان يصغر امام هذا الامر ، أمر حياة البلاد واسعاد ابنائها . وكل قضية يجب ان يضرب بها عرض الحائط امام هذه القضية . فان البلاد وسكانها في حاجة لازالة الشقاء عنهم بالاصلاح الذي مر ذكره وبذلك تعمر البلاد بعد ان خوت وخلت من ابنائها ويجد الجزء الباقي منهم رزقا يكفيهم وسوقا فيه تروج محصولاتهم

* * *

ومن الغريب ان اهالي هذه البلاد يقولون ان اعضاء المجلس مشغولون عنهم بما هم فيه من المناقشات التي لا طائل تحتها وكأنهم لا يشعرون بالنقص المخيف والفراغ المفزع الذي كان نصيب

هذه البلاد من ميراث الحرب الظالمة

وعسى ان لا تطول الايام والاعوام على نيل أهالي هـذا القضاء هذه الامنية التي لا تكلف الحكومة اكثر من ستة آلاف جنيه مصري . ويقال انها طلبت من كل واحد من سكان بحشوش ٢٠ قرشاً لسداد نفقة انشاء الطرق ولكن الاهالي فقراء

من بيروت

الى بحشوش

يعرف المصطافون الشطر الجنوبي من لبنان لمرور السكة الحديدية فيه ، ولكثرة الفنادق وتقربه من بيروت . اما الشطر الثاني واقليم كسروان فلا يعرفونه لصعوبة المواصلات . وما كان يخطر ببالي ان أزور هـذا الشطر من لبنان لولا ذهاب صديقي وأستاذي الكاتب الكبير داود بركات بك رئيس تحرير جريدة الاهرام الى كسروان للراحة والاصطياف بعـد طول العمل والاعياء

* * *

ركبت الاتوموبيل صباحاً من بيروت فمر بنا بين البساتين والحدائق حتى متنزه « ضبية » ، وهو متنزه جميـل واقع على شاطيء البحر يقصده الكافة من أهل بيروت للنزهة . ..

القهوات في الجناين ، وفي القهوات نوافير يتصاعد منها الماء الى علو شاهق ثم يهبط منتثرا فيتكوّن من صعوده وهبوطه منظر يأخذ بالابصار ، فلا يجد الجالس في تلك القهوات مللاً مهما طال مقامه ، لانه بين الحدائق ، والماء الدافق ، والجبل الشامخ ، والبحر المنبسط

ثم مررنا بمتنزه آخر هو نهر الكلب وعلى صخوره قد نقشت آثار قديمة ، وكان منقوشاً ذكر وصول الجيش الفرنساوي الى لبنان في سنة ١٨٦٠ بقيادة الكولونيل « بوفور » لاخماد الثورة ومنع المذابح بين الدروز والموارنة فأمر جمال باشا قائد جيش سوريا بمحو الكتابة

والذي حفظ أثرها حضرة نعوم باخوس بك عند معرفته بصدور الامر بازالة أحرفها لحفظها بصورة فتوغرافية

ولما استلم الفرنساويون لبنان اعادوا الكتابة ورسموا فوق ذلك صورة الجنرال « غورو » بوشاح المرشالية

اجتزنا نهر الكلب الى جونية وهي فرضة بحرية وميناء كسروان التجاري . وبعد ان استرحنا قليلاً في قهوة وقابلنا الاستاذ الشيخ يوسف الخازن النائب عن كسروان في مجلس لبنان النيابي وفرنسيس افندي مأمور البوستة والتلغراف فدلنا على الطريق الموصل الى الاستاذ داود بك ركبنا الاتوموبيل فذهب

بنا صعوداً ماراً بغزير . وقد كانت قبل الحرب مدينة تجارية صناعية عدد سكانها ١٢ الفا فنزل بها الخراب واقفرت مدارسها الثلاث الكبيرة واخذ الاميركان مدرسة مار لويس لآل زوين فجعلوها ملجأ ليتامى الارمن كما جعلوا الابنية التابعة لأصحاب هذه المدرسة على ساحل البحر ملجأ ثانياً وفي كل منهما المئات من بنين وبنات . ومن غزير مررنا بوادي الجديدة وهو واد كثير المياه ، ولربما سميت غزير بهذا الاسم لغزارة ماء واديها

ومن الوادي صعدنا الجبل الى بلدة الكفور وهي مصيف مشرف على البحر. وعند قنة الجبل بلدة الغينه المشهور ماؤها على قلته بكثرة منافعه ، وفي الغينة خرائب قديمة كثيرة واهم من ذلك صورة المعبود « ادونيس » منقوشة على الصخرة وصورة « الزهرة » راكعة تبكيه وترثيه . ولهذا المعبود حكاية وهو انه كان يسكن الغينة ، وكانت الزهرة حبيبته تسكن بلداً يقابل الغينة شمالا ، ويفصل بين البلدين واد عميق يعرف الآن بيحشوش حيث كان يصطاف حضرة الاستاذ داود بركات بك وفي قاع الوادي يمر نهر ابراهيم النابع من مغارة أفقة وكان القدماء يطلقون عليه اسم المعبود « ادونيس »

قالوا ذهب «ادونيس» لزيارة الزهرة وهناك خرج لاصطياد النمر فافترسه الوحش فصوروا كيفية افتراسه على صخرة هناك

كما صوروا الزهرة راكعة تبكيه في مقر ملكه . وقالوا ان نهر « ادونيس » يتحول ماؤه الى دم كل سنة في موعد افتراس النمر لذلك المعبود . وسموا الوادي البادي فبه النهر يحشوش ومعناها المعبود المتألم

ومن الغينة سار بنا الاتوموبيل الى غبالة « أي جبيلة » وهناك آخر محطة للاتوموبيل . وقد أخذت الحكومة منذ عشرين أو ثلاثين سنة الاموال من أهالي يحشوش والقرى المجاورة لتصلح بها طرقاتهم فأنفقت هذه الاموال في جهات أخرى وتركتهم الى الآن يندبون سوء حظهم وكلما شكوا وجدوا في اذن الحكومة صمما عن اجابة طلبهم

سرنا على القدم الى اليمين وكان الواجب ان نسير على الشمال حتى هبطنا الوادي في طريق ضيق به حجارة صغيرة وكبيرة . فقابلت طائفة من السيدات فسألتهن عن الطريق الى منزل الاستاذ ولما علمن باني من مصر واني ضللت الطريق استوقفنني برهة ارشدنني فيها الى الطريق . فعمدت الى الصعود حتى وصلت من حيث بدأت . ووجدت سيدات في منزل صغير تحيط به الاشجار والاعناب ، فسألتهن عن الطريق فارشدنني كذلك . وسرت بعد ان تزودت بالماء وبدلا من السير في طريق الى اليمين يهبط الى الوادي صعدت والجبل على يساري حتى وصلت الى

قنته. فأدركني الملل والتعب وانكسرت شمسيتي التي كنت أتظلل بها ثم ادركني الله بلطفه فوجدت سيدة بجوار زرع في باطن الجبل ولما سألتها أرشدتني بلطف الى وجوب العودة واتخاذ الطريق الآخر. عدت وأنا في حالة صعبة وسرت مسترشداً بغريزتي حتى لاح بعض المنازل فاطمأنت نفسي وذهبت مخاوفي وعلمت من سكانها عن منزل الاستاذ في وسط الضيعة فاجتزت المسافة الى كنيسة هناك فالفيت بجوارها حضرة الخواجه يعقوب زوين وبعد ان سلمت عليه وتعارفنا أخبرني ان الاستاذ صعد الى الجبل عند خاله قسيس هذه الجهة ومرشد سكانها الى الخير. ثم احضرلي مكارياً فركبت بغلته وصعدت بي الى الجبل في طريق لا أدرى كيف قبلت على نفسي الصعود اليه على ظهر البغل، ولكن التعب أنساني مخاوف الطريق فاستسلمت. وبعد صعود دام نحو ساعة وصلت الى الدير وكان الليل أرخى سدوله، فاستقبلني حضرة الاستاذ داود بك وحضرة خاله وأبناء أخته وأخيه بما أنساني متاعبي ومضيت ليلة ونصف نهار. ولا أنسى مطلقاً سمري مع خال الاستاذ، والحكايات الادبية التي اطرفني بها، ولا الطعام الذي اكلته وهو خروف جردوا عظامه وبقي اللحم مع الارز والخبز. وفي الصباح صعدنا الى الجبل حيث يوجد المكان الديني. ولما عزمت على العودة الى بيروت صاح

احد الاخوان على المكارى من أعلى الجبل . فرد عليه بعد ثلاث دقائق تبادل الفريقان في خلالها صدى الصوت ، فشبهت ذلك بالتليفون الاثيري

ثم ركبت البغل وصعدت الطريق ، فسلك من طريق روماني الى الجديدة وهناك وجدت الاتوموبيل فعاد بي الى بيروت

* * *

ليس لبنان جديدا في التاريخ بل يرجع تاريخه الى آلاف من السنين فقد أقام الفينيقيون فيه مدة من الزمن ثم خلفهم غيرهم من الامم القديمة من الاشوريين والكلدان والفرس والرومان ولهم فيه آثار تدل عليهم وعلى عظمتهم .ثم حكمه الامراء والمشايخ من اللبنانيين . ويشتمل على سلستي جبال على شاطيء البحر المتوسط تمتدان من الشمال للجنوب . ويتصل بسلسلتي لبنان ثلاثة سهول فسيحة احدها سهل دمشق الذي يمتد من سفح السلسلة الشرقية الى بادية سورية . والارض ولو انها في الغالب طبقة رقيقة مرتكزة على الصخور لكنها صالحة للنمو . وتخرج جميع الفواكه من اللوز والجوز والزعرور والخرنوب والتين والتفاح والمشمش والكمثرى وهي على صغرها واخضرار لونها من أحلى الفاكهة . وبها الكرز والعناب والسفرجل والفستق والعنب . وينبت بها الارز والقمح والشعير والقصب .وبها جميع

الزهور والدخان الذي يباع في لبنان وبيروت والذي عطل كثيراً على شركة الريجي لطعمه وحسن نكهته . وبها الخضروات كلها . وبها الانهر الكثيرة كنهر ابراهيم والكلب ومنه يشرب اهالي مدينة بيروت والدامور ونهر الليطاني والعاصي واكثرها يصب في البحر الابيض وذلك عدا الينابيع الكثيرة . وسيأتى الكلام على الأنهر في غير هذا المكان . وكل مناطق لبنان جيدة الهواء تحتوي على مناظر جميلة خصت بمزايا طبيعية يندر اجتماعها في غيرها أو ما يقابلها في بلاد العالم . واكثرها تشرف على مناظر البحر المتوسط فضلا عن مياهها التي تحتوي على مزايا خاصة لمعالجة الامراض أو للشفاء منها. واعتقد ان هذه البلاد — بفضل هذه المزايا التي ذكرتها والخواص التي لم استطع ذكرها لان سردها يحتاج الى عدة مقالات وبحسن مواقعها الطبيعية وصدق اهلها واكرامهم للضيف — هي بلا نزاع البقعة التي اختارتها الطبيعة لتكون المصيف الذي يقصده بعض سكان فلسطين والحجاز ومصر

* * *

جاء في كتاب « في سبيل لبنان » لمؤلفه الفاضل يوسف افندى السودا . ان فينيقيا القديمة كانت قائمة حيث يمتد اليوم لبنان من عكا جنوباً الى ارواد شمالا . وقد أثبت العلماء ان مهد

الحضارة والعلوم والمعارف هو فينيقيا لا اليونان وان فينيقيا أحق بتلك الكرامة الجلى التي لليونانية في العالم

ولقد انحصرت امجاد فينيقيا في لبنان فقد تجسمت امجاد لبنان في أرزه الخالد فأطل من شاهق تلك القمم على الاجيال تتتابع والقرون تتخالف فقامت على اقدامه دول واندثرت دول فرأى الاشوريين والكلداذ والفرس واليونان والرومان يتطاحنون ويتفانون ، وهو يشرف على السهل من عالى بواسقه اشراف النسر من شاهق وكره ، لا تصل الى سمعه صلصلة السيوف ولا تنال من شماء عزته شدة الفاتحين

نظرت ملوك التوراة وشعراؤها الى جلال لبنان وجماله فراع جلاله الملوك وهاج جماله الشعراء فخصوا لبنان وارزه بآيات ساحرات خلدت ذينك الجلال والجمال دلالة على الملوك واعجازاً للشعراء

قال الحكيم في معجزه « نشيد الاناشيد » :

« الملك سليمان صنع لنفسه تختا من خشب لبنان
هلمى معي من لبنان أيتها العروس ، معي من لبنان
أنظرى من رأس امانة ، من رأس سنير وحرمون ، من مرابض الاسود ، من جبال النمور
عنقك كبرج من العاج وعيناك كبركتي حشبون عند باب

بنت الجماعة وأنفك كبرج لبنان الناظر الى دمشق
ان كانت سوراً بنينا عليه صرحاً من فضـة . وان كانت مصراعا شددناه بالواح من ارز »
وقال النبي داود في مزاميره :
« الصديق كالنخل يزهر ومثل أرز لبنان ينمو
تروى اشجار الرب أرز لبنان الذي غرسها
هناك تعشش العصافير واللقاق يبيت في السرو
سبحي الرب من الارض أيتها التنانين وجميع الغمار . الجبال وجميع التلال . الشجر المثمر وجميع الارز الخ الخ »

***

لبنان في غاية الجمال من حيث الطبيعة وجودة الارض وكذلك الحال في دولة سوريا وكنا نود لهذه البلاد الشرقية انظمة ثابتة تدور عليها الأمور كما هو الحال في مصر وفي الاقطار الأخرى، حتى لا يضطرب الامن العام ولا يهاجر ابناء البلاد الى كندا والبرازيل لا فراراً من الجدب والغلاء ولا من قلة المياه وتعذر المواصلات . لاننا رأينا الزارع اللبناني أو السوري من انشط الزراع وهو يشتغل بهمة لا تعرف الكلل ومضاء لا يبالي بالخطر فتخرج له الارض ثمراً من كل شيء ، ولكنه يفر من تنوع الضرائب والغرامات التي تفرض على البلاد من وقت لآخر

كلما تقص السلاح المطلوب أو عند ما تقع جناية من الجنايات . ولو ان الحكومة وجهت عنايتها لهذه المسألة ووقفت على افكار الناس لما أقدم الناس على خراب بيوتهم بايديهم كما سنفصله

أخذ الشبان والقادرون من الرجال يهجرون بلادهم كأنهم قطعوا الرجاء من الاصلاح وبلغ عدد الذين هاجروا في الاشهر الماضية من قضاء راشيا ١٢٠٠ نسمة الى كندا والبرازيل وسيتبعهم في هذا الشهر نحو نصف هذا العدد من زحلة وبعلبك وبيت مرى وظهور الشوير ومن الكفور والبترون والبلاد الاخرى ويتم ذلك بعد انتهاء موسم العنب

عين زحلتا

ذهبنا الى عين زحلتا وهي قرية جميلة في قضاء الشوف تعلو عن البحر ٩٠٠ متر فيها منتزهات كثيرة وغابة صنوبر بديعة جداً وكثير من الينابيع وقد مررنا قبل الوصول الى لوكاندة فيكتوريا لصاحبته مدام نجوم على نبع الصفا والقاع . وموقع هذا الفندق بين احراش الصنوبر ولذلك امتاز بالمناخ الجيد ونزلاؤه يزيدون صحة وعافية يوماً فيوماً . والاقامة فيه لا تكلف المصطاف أكثر من ٥٠ قرشاً مصرياً في اليوم الواحد الأكل والنوم. والوصول لها من بيروت في ساعتين بالسيارة وقد نزلنا في يوم

الى نهر الصفا وأقمنا مع جماعة من المصطافين في لوكاندة تاميراس لصاحبها زيدان اخوان وكان هذا اليوم من أجمل الايام التي مضيتها في لبنان فالمصرى يستقبل في لبنان كما تستقبل العائلة فرداً من ابنائها . اما الامن والراحة فلا مثيل لهما في بلاد أخرى . وقد مررت وسط القرى فما وجدت الا كرما واستقبالا حسنا . كنا نقوم اثناء الليالي المقمرة بسياحات لطيفة فلا نحذر سرقة ولا نخشى اعتداء ، فالجناية على المصطافين على الاخص تكاد تكون غير معروفة عندهم

والضيافة مقدسة عند اللبناني : المسيحي والدرزى . ويقول الدروز ان الناس كلهم اخوة وقد اعتادوا السكن مع الموارنة وأصبحوا أمة واحدة

الهجرة من لبنان وأسبابها

تجد الوسطاء يتجولون في هذه البلاد وسائر البلاد اللبنانية والسورية لمساعدة المهاجرين على السفر بقروض يدفعونها بفائدة كبيرة ولمدد مختلفة فاذا دفع الوسيط أجرة السفر والمصاريف خرج الرجل من ضيعته كما خرج آدم من الجنة ويزيد عنه ان على جسمه ملابس تقيه بأس البرد . والذي لا شبهه فيه ولا سبيل الى ان يختلف اثنان في فهمه أو يحتاج أحد الى تأويله ان الضيعة

لا تعود للمهاجر مطلقا . لان الدين والفوائد تستغرق الارض المرهونة وربما الدار التي كان يسكنها . وقد علمت من واحد من القرعون خرج من بلاده مهاجراً الى البرازيل ـ وهو يودع الاهل والوطن — ان الضرائب كثيرة (وكثيرة جداً على رأي بعض الكتاب) وانها تبلغ ١٨ ضريبة . اما ورق « البول » والمقطوعة والحجازية فقد ضرب عنه الصفح لانه لا يستطيع حصره لانها على المعاملات بين الناس وعلى الورق الخصوصى حتى الاعلانات وكلما حدثت حادثة أو اختل الامن توزعت المسئولية على الاهالي مما ساعود الى شرحه

والواجب على الحكومة ان تحول عنايتها الى مسألة المهاجرة لمالها من الاثر السيء في خراب البلاد فنزيل الاسباب التي تدعو اليها لانها من الامور التي تهتم بها الدول أعظم اهتمام

* * *

قابلت أحد القادمين من السويدا . وعلمت من حديث معه ان الامن في جبل الدروز مستتب وان المسافر يستطيع ان يجتاز بلاده وجباله بغير خوف ولا وجل . وان الحكومة أصبحت مستقلة تدير أمورها بواسطة حكامها تحت اشراف بعض الضباط الفرنسويين وانهم يطبقون في احكامهم عادات البلاد والقوانين وان الوفر بلغ في هذه السنة نحو ١٤ ألف جنيه مجيدى وانتهت

القلاقل التي كانت تحدث في هـذه البلاد وان الاهالي يعطف بعضهم على بعض كل العطف وكذلك حكومتهم وهي فوق العطف تبر بهم وتساعدهم في جميع اعمالهم

بعلبك وآثارها

وجمع السلاح من الاهالي

بعلبك مدينة قديمة في الجهة الشمالية من سهل البقاع كانت تعرف في الازمنة الماضية باسم « رب الوادي أو بيت الرب أو هليوبوليس أي مدينة الشمس » تحيط بها آثار اسوار قديمة وحدائق من كل جانب . وبالجهة الشمالية منها نبع يسمى رأس العين من أجمل المتنزهات لما يحيط به من الاحراش والكروم . وبآخره لوكاندة أطلق عليها هذا الاسم يقصدها السياح عند الذهاب الى رؤية الآثار وقد اتفق وصولي اليها في اليوم الذي تحدد لجمع الاسلحة من أهالي هـذه البلدة ، عملا بالاوامر التي صدرت من المفوضـية الفرنسوية ، ورأيت الجنود بين ذهاب واياب لاستدعاء الناس لتسليم ماعندهم من البنادق أو المسدسات وشاهدت المدينة مزدحمة على غير العادة ورأيت الناس يحملون الاسلحة لتسليمها في « السراي » مركز البوليس ومعهم بعض الجنود وعلمت ان العدد المطلوب من أهل هـذه المدينة ٣٧٥

بندقية من طراز مارتيني

اما البلاد الاخرى التابعة لها فقد فرض عليها مقادير مختلفة . مما سأعود الى تفصيله في رسالة تالية

والمسافر الى بعلبك من بيروت بطريق زحلة والمعلقة يستغرق ٤ ساعات و ٣٠ دقيقة . ويمر على محطات الجمهور وعارياوعاليه وبحمدون وصوفر وظهر البيدر والمريجات وشتورة ومعلقة زحلة وبعلبك والمسافة ١٠٦ كيلو متر . وفي امكان المسافر السفر اليها بطريق السكة الحديد اذا كان في زحلة من معلقة زحلة الى رياق ومنها يركب القطار القائم الى بعلبك . وبعلبك اسم مركب من كلمتين بعل وبك ومعناها بالفنيقية رب الوادي وهي مدينة قديمة مشهورة في الجهة الشمالية من سهل البقاع بالقرب من الجبل الشرقي واقعة في عرض ١ و٣٤ شمالا وطول ١١ و٣٦ شرقا على مسافة ٦٠ كيلو متر من دمشق الى الشمال الغربي وبينها وبين تدمر مدينة الملكة الزباء ٢٠٠ كيلو متر وتبعد عن طرابلس ٥٠ كيلو متر وتحيط بها آثار اسوار قديمة وحدائق من كل جانب وفيها نبع يسمى رأس العين من أجمل المنتزهات وبه لوكاندة للخواجه خوام وهي من أفخم الفنادق وأجملها من حيث الموقع والرياش وجودة الهواء وحسن الخدمة والامانة في كل شيء . وهي واقعة على خط السكة الحديدية بين رياق وحلب

قمت في الصباح لزيارة هيكل الشمس الذي ...
بعلبك وعمرانها . ولما وصلت الى سور الهيكل ...
الآثار ينتظرني في سيارة ، وبعد ان تقا...
سورياً عني وعن صاحبي محمد افندي بديع البي...
التذاكر التي تبيح لي الدخول الى الهيكل من باب ...
وعلمت ان هذه الرسوم وضعت حديثاً لصيانة الآثار ...
الوطني والاجنبي على السواء

علمت من صاحبي ان هذا الهيكل تحول بعد انتشار المسيحية
في الشرق الى معبد في عهد قسطنطين الملك . واستمر على هذا
الحال الى ايام الفتح العربي في سنة ٦٣٥ ميلادية ، فاحدث فيه
بنو امية تغييرات كثيرة. وأقاموا في الجهة الشرقية منه مسجداً
للصلاة ومرابط الخيل واحواضاً للشرب . وأخذ بعض الاهالي
بعض الاعمدة والاحجار الضخمة وبنوا بها منازل لسكناهم .
ولم يقتصر الامر على ذلك . فداهمها الطاغية تيمورلنك فخرب
ما بقي من قصورها وآثارها ، وتيمورلنك هذا هو الذي
ذبح ٢٠ الف طفل عند دخوله دمشق ولما سئل في ذلك قال عن
نفسه انه نقمة من الله سلطه على عباده

وفي سنة ١٧٩٩ داهمها زلزال أودى باكثر بنيانها الفخم
واضاع الاعمدة النفيسة التي كانت على أبواب الهيكل الداخلي .

واقتلع الاعمدة التي كانت عند مدخل الهيكل

اما تاريخ هذا الهيكل فيقول صاحبي انه يرجع الى ما قبل الميلاد بـ٩٠٠ سنة ولكن الحقيقة لم تعلم بعد ولا عبرة بما ورد في بعض الكتب عن هذا الهيكل بانه من بناء سليمان عليه السلام وانه وهبه مهرا الى بلقيس التي وردت قصتها في سورة النمل

دخلنا من باب أقام له الاتراك قنطرة اثناء حكمهم أو اثناء زيارة الامبراطور غليوم عاهل الالمان لهذا المعبد في سنة ١٣١٦ هجرية واجتزنا ممراً اقامه العرب الى غرفة كبيرة وضع بداخلها بعض الآنية الخزفية وبعض صور السباع التي كانت في أعلى الهيكل. وأواني من الزجاج الذي بلون أشبه بالاحمر وبزجاج من صناعة العرب. وكلها ليست كاملة والباقي منها يشبه الزجاج الذي يصنعه بعض أهالي القدس في شارع المقاصيص بباب النصر بالقاهرة وبها دواليب مكسرة لا تصلح لخزن الآثار ولا لحفظها وضع بها عدة تماثيل لآلهة الحصاد وسنابل القمح وشجر البلوط وثمر بعض الاشجار وكيزان الصنوبر. ووجدنا لوحة من الرخام وضعت على الارض بغير عناية كتبها الالمان بالالمانية، ذكرى لزيارة الامبراطور غليوم. وأخرى بالتركية كتبت بأمر السلطان عبد الحميد ذكرى لهذه الزيارة كذلك. وخرجنا من هذا الرواق الى الهيكل الصغير أو هيكل باخوس اله الخمر ولا تزال النقوش

الباقية في بعض جدرانه تستوقف الانظار لانها كما قال بعضهم فاقت حد الابداع

وانتقلنا بعد ذلك الى الهيكل الكبير أو هيكل « جوبتير» الشمسي . وهـذا الهيكل مجهولة رسومه لوجود الاتربة به وللخراب الذى لحقه ولان فن حفظ العاديات لا أثر له في هذه البلاد الغنية بآثارها الشهيرة بتاريخها

وجدنا في هذا الهيكل بعض أعمدة تشبه الموجودة في آثار مصر ويقال ان تمثال الشمس جلب الى هـذا الهيكل من مصر . ولست أدري كيف نقل أو كيف اقتطعت الاعمـدة من جبال اسوان ونقلت الى بعلبك وهي من الضخامة بمكان عظيم . ورأينا اعمدة كبيرة كانت ثلاث قطع متصلة ببعضها باعمدة من النحاس السميك من الداخل وهذه القطع هي التي كانت تربطها ببعضها وهي مجوفة . وانتقلنا بعد ذلك في وسط انصاف اعمدة وقعت على الارض أو قواعد لها عليهـا النقش البيزنطي أو الطراز اليوناني أو حجارة كبيرة كانت في الجدران حتى وصلنا الى درج الهيكل الكبير أو البهو الـكبير . ورأينا في وسطه الـكنيسة البيزنطية وآثارها لا تزال باقية للآن تدل على العظمة والجلال ثم صـعدنا الى جزء من الهيكل فوق اعمدة امام الاعمدة التي يراها القاريء مرسومة فوق علب السجاير أو الكرت بوستال

في القاهرة وبلغ عدد السلالم ٨٦ ثم تجولنا بعد ذلك في جوانب الهيكل وفي البهو المسدس ودخلنا الى قبو كبير حفره الالمان تحت البهو . وجعلوه مسلكاً للباب الاسفل حيث يخرج الزائر الى الطريق ولكن الجزء الاكبر من هـذا القبو لا يزال مغطى بالتراب . ورأينا قطعة من أرضه وهي على شكل الفسيفساء الا انها مصنوعة بالصدف الصغير . ورأينا داخل الهيكل مجموعة آثار رومانية وبيزنطية وعربية ، ولا يزال محراب المسـجد والميضاء وبعض جدران المسـجد الذي بناه العرب داخل الهيكل باقياً للآن . وشاهدنا عدة الواح من الرخام عليها كتابة بالخط الكوفي القديم يرجع تاريخ بعضها الى سنة ١٣٢ و١٤٥ هجرية . والظاهر ان بعض القواد من الفاتحين دفنوا داخل الهيـكل . والفضل للالمان في اظهار بعض آثار المعبد وجعل طرقه سالكة ، ولو انهم أخذوا منه الشيء الكثير ، ولست أدرى كيف تهمل الحكومة اللبنانية ترميم بعض جدران الهيكل التي اخذت في السقوط أو تنظيف بعض ممراته حتى يسهل على الزوار المرور والتنقل بين الحجارة التي تعيق سير المارة وتجعل الزيارة صعبة او كيف تهمل حفظ الآثار في غرفة نظيفة وفي دواليب صحيحة أبوابها من الزجاج كما فعلت حكومة دمشق حيث انشأت متحفاً لمثل ذلك ، خصوصا وان بعض آثار تدمر تنقل الى هذا

الهيكل . ولو انها كشفت بعض أراضي الهيكل لوجدت بعض الكنوز التي يقال انها لا تزال مدفونة ولم يعثر عليها الالمان . وبالجملة فآثار بعلبك في حاجة كبيرة الى عناية الحكومة حتى تستفيد البلدة وأهلها من السائحين والزوار . اما مناخ بعلبك فجيد جداً وماؤها مسهل للهضم ومناظرها بديعة وسكانها ذوو دعة ورقة . ويندر ان يؤم سوريا أجنبي ولا يزور بعلبك ويكتب ما يشاء عن آثارها وما يكسبه فيها من العافيه . والكثيرون يطمعون في اكتشاف ما يؤدي الى معرفة حقيقة أصلها كما يطمعون في احراز بعض كنوزها ، التي يظنون أنها مدفونة في جوف هيا كلها

ومن فنادقها اللوكندة الجديدة الكبرى وأوتيل فرنسا وسنترال وفنادق أخرى

زحلة

ومن البلاد التي زرناها في لبنان وسررنا من جودة هوائها وحسن موقعها ومحاسن اخلاق أهلها زحلة وهي من أهم مدن لبنان تقع على رابيتين مستطيلتين يعلوان عن سطح البحر نحواً من ٩٥٠ متراً ويفصل بينهما نهر البردونى الشهير . وعلى هذا النهر أو الوادي قهوات عامرة بالناس من المصيفين والاهالى ، وتزدحم بالليل ازدحاماً شديداً لشرب العرق الذي لا يوجد مثله في بلاد

لبنان وتدخين النرجيلة وسماع الاغانى الحسنة والادوار المصرية والطقاطيق الجديدة كل ذلك في سكون وهدو . وعند انتصاف الليل ينصرف الناس الى منازلهم وهم يتحدثون بجمال ليلتهم . ولا تسمع عربدة ولا ضجة . ومن أغرب ما شاهدته فيها ان النساء يخرجن الى الوادى في الصباح ليصطبحن بالقهوة والشيشة وبالعرق يشترك بعض الرجال في الصبحية . وهذه المدينة حسنة التقسيم عامرة المباني دورها فخمة متقنة مرصوفة على جانبي النهر . وفيها الفنادق الجميلة والمتنزهات وهي مشهورة بفاكهتها خصوصاً العنب والبطيخ والتين الوارد اليها من سهل البقاع . وأهلها متصفون بحبهم للغريب . ويوجد فيهم الادباء بكثرة . وبها مدارس . وقد زرنا ونحن بها صاحب جريدة زحلة الفتاة وهي تصدر يومياً وكذلك يوجد بها جريدة الصحافي التائه . ومناخها جيد جداً وهواؤها جاف وهي تشرف على سهل البقاع ويحيط بها من الغرب سلسلة جبال تمنع عنها رطوبة البحر . والسيارات ترد اليها من بيروت ودمشق بكثرة والسكة الحديد تمر بالمعلقة وهي متصلة بها

نزلنا فيها بفندق (الصحة) لصاحبه الخواجه نقولا عقل . والفندق المذكور على جبل يشرف من الجهة الشمالية والغربية على نهر البردوني ومن الجهة الشرقية على الجبل الموصل لعين

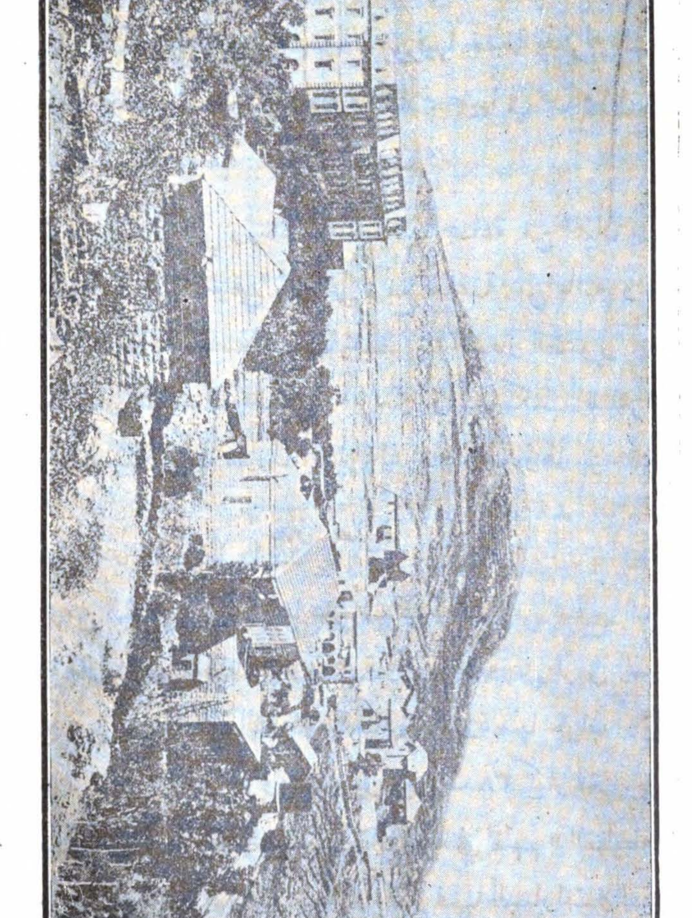
(الذوق) وبها فندق قادرى بشارع البرازيل وبها فنادق أخرى للنوم والأكل . وعرفنا منها حضرة الضابط يوسف أفندي نجيم ، وتأكدنا انه يقوم بخدمة الأمن فيها خدمة تذكر له بالشكر والثناء (وتقدمت صورة زحلة والكلام عليها في ص ١١٠)

سوق الغرب

ومن البلاد التي زرناها ورأينا فيها جماعة من اعيان مصر بلدة سوق الغرب . وهي بلدة على ربع ساعة من عاليه واقعة على أكمة مقابل مدينة بيروت يحيط بها اشجار الصنوبر وهي مرتفعة تعلو عن سطح البحر ٧٠٠ متر وبها مكتب للتلغراف وآخر للبوسته وفيها منازل كثيرة للايجار وهواؤها جيد للغاية

عين صوفر

ومن البلاد التي زرناها عين صوفر ترتفع عن سطح البحر ١٢٥٠ متراً يؤمها المصطافون بكثرة وهي واقعة على طريق السكة الحديد من بيروت الى الشام وبها فنادق كثيرة منها جران أوتيل « صوفر » و « الهبرا » وبينها وبين بيروت ٣٨ كيلو متر . وفي سبتمبر يكثر في طريقها الضباب ويقال عليه في لغتهم « الغطيطة » . وبها عدا الفنادق قهوات جميلة ويكثر فيها السيارات والعيشة فيها كما في غيرها من البلاد اللبنانية رخيصة



عين صوفر

عاليه

وعدنا ونحن في طريقنا الى بيروت الى عاليـه ويغلب عليها اسم « علي » وهي بلدة كبيرة من قضاء الشوف لها شهرة واسعة تعلو عن سطح البحر ٧٠٠ متر وهي واقعـة على طريق السكة الحديدية ما بين بيروت ودمشق ومن أهم فنادقها قصر لبنان وأوتيل الشرق ومصر الجديدة وفيها عدد كبير من منازل الايجار وبهـا قهوات ومنتزهات كثيرة بينها وبين بيروت بالسيارة ٢١ كيلو متر تقطعها السيارة في ٤٠ دقيقة

انهار لبنان

تحتوي لبنان على عدة أنهار جميلة لايختلف طعم مائها عن ماء النيل . ومنها يشرب السكان وتروى الارض . ومنها نهر ابراهيم وهو يخرج من مغارة افقة بالقرب من العاقورة ويصب في البحر على سبع كيلو مترات جنوبى جبيل ـ التي اشتهرت بآثارها التي وجدت فيها ـ وطوله نحو ٢٠ كيلومترا

نهر الـكلب . يخرج من مغارة جعيتا وتجتمع فيه مياه نبعي اللبن والعسل وفي الضبية تحجز مياهه وترشح ويستعملها أهالي مدينة بيروت

نهر الدامور . يجتمع في جهات عين زحلتا ودير القمر من

أربع ينابيع أو أنهار صغيرة هي نبع الصفا ونبع القاع وتلتقى عند جسر القاضي ويصب في البحر جنوبي معلقة الدامور

نهر الليطاني . يخرج من المنحدر الشرقي من نبع العليق في شمالي البقاع فتجمتع اليه أنهار كثيرة منها من جهة الغرب مثل نهر البردوني الذي يمر في زحلة ونهر شتورة ومياه قب الياس ، ومنها من جهة الشرق كنهر زعير ويصب في البحر المتوسط على مسافة ٧ كيلو مترات شمالي صور حيث يسمى نهر القاسمية وطوله ١٦٠ كيلو متر

نهر العاصي . يخرج من نبعين أولهما نبع اللبوة شمالي بعلبك وثانيهما عند مغارة الراهب أو مغارة مار مارون قرب الهرمل على ٩ كيلو مترات من جنوبي بحيرة حمص ويخرج منها غزيراً صافياً ويصب في البحر تحت السويدية بعد مسير ٤٠٠ كيلو متر

وغير هذه الانهار انهار كثيرة أكثرها يجري في الشتاء ويجف بالصيف يزيد عددها على الثلاثين أما الينابيع فكثيرة جداً يبلغ عددها في كل أنحاء لبنان — السلسلة الغربية — المائة نبع

ولماء الينابيع منافع كثيرة ، وهي خالية في الغالب من الجراثيم ونقية من الشوائب وأكثرها بارد عذب

ظهور الشوير

أحرز هذا المصيف من الشهرة ماتحسده عليه أغلب المصايف الاخرى . وترجع هذه الشهرة الى موقعه الممتاز وغاباته الغضة ومائه العذب وسهولة مواصلاته ولذلك فقد اهتم أهله فشيدوا القصور الفخمة ، والفنادق الكبيرة ، والمنازل الجميلة ، حباً باستجلاب الغريب الى مصيفهم وراحته

علو هذا المصيف عن سطح البحر ١٢٥٠ متراً وهو يشرف على ساحل بيروت وجبل الشوف وعلى كثير من المنعطفات والوديان ويطل على جبل صنين الجميل . وكثيراً مايقصد المصطافون أعالى صنين من ظهور الشوير فيقضون يومهم بين هرج ومرج على ينابيعه العذبة . أشهر الفنادق فندق المنتزه . وفى هذا المصيف مكتب بريد وتلغراف

عبية

عبية بلدة اثرية قديمة ومصيف مشهور ، تشرف على البحر المتوسط من سائر جهاتها وتعلو عن سطحه ثمانمائة متر . هواؤها جيد ، ومياهها عذبة ، تتدفق من صخر في اعلى البلدة بحيث لا تتسرب اليها الاوساخ ، يعلوها جبل على مسافة ٢٠ دقيقة منها سهل المرتقى ويدعى المطير يرى الناظر من اعلاه البلاد الواقعة

بين عكا وطرابلس ومن الجهة الشرقية يرى وادي نهر الصفا الجميل وجبل الباروك وعين زحلتا ومقاطعات الشوف والعرقوب والجرد . وأحياناً حينما يكون الافق صافياً ترى جبال قبرص منها وكانت قبلا مركزاً للامراء التنوخيين والمعنيين في الاجيال المتوسطة وقد بنوا فيها بنايات نخمة لم يزل البعض منها موجوداً الى الآن بحالة تدهش الناظر لما حوت من الاتقان والعظمة وقد استوطنها فيما بعد الامراء الشهابيون . ويوجد فيها مقام للسيد عبد الله التنوخي الفيلسوف الشهير ، وهو من أولياء الطائفة الدرزية يقصده الزائرون من جميع أنحاء لبنان وحوران وغيرهما

المواصلات في لبنان وسوريا

السكك الحديدية ووجوب اصلاحها . الجنود
السنغاليون . جمع السلاح . الحالة
الحاضرة والانتخابات

مركز المواصلات الآن للبنان و سوريا وفلسطين وحلب وبلاد العرب « بيروت » ومنها تتفرع الخطوط الى : المعاملتين . ورياق . وبعلبك . وحلب . ودمشق . ومن دمشق يسافر الركاب الى بلاد العرب وفلسطين وحيفا ومصر . والواجب علينا بعد ما رأيناه من الخلل في نظام سكك حديد سوريا ولبنان ان نعترف بالفضل لادارة السكك الحديدية في مصر ولاختها في

فلسطين فان المواصلات فيهما تسير على انظمة ثابتة وبمواعيد محددة وفي مركبات مفتوحة سهلة بها كل ما يحتاج اليه الراكب من ماء وأكل وشرب . وهي انظمة تظهر في عيون كل الركاب حسنة وبصورة لا عيب فيها على الاطلاق

اما السكك الحديدية بين بيروت ولبنان وسوريا وحلب فانها في حاجة الى الاصلاح وازالة المضار الناجمة عن فساد الانظمة العتيقة حتى تزداد ايراداتها . ولا يعدل الناس عن ركوبها والالتجاء الى السيارات بالرغم من اخطارها التي كثرت في هذه الايام . خصوصاً بين بيروت ولبنان لكثرة السيارات أولا ولرعونة السواقين واسراعهم في السير وعدم سماع نصح الركاب . ولكثرة الغرامات التي تتوقع عليهم من رجال البوليس في بيروت ثانياً . ولان الطرق في المدن غير منتظمة ثالثاً . وقد حدث اثناء وجودي في لبنان بعض حوادث من مصادمة السيارات يؤسف لها . وآخر حادثة من هذا القبيل وقعت في بيروت بسبب اصطدام الترامواي بسيارتين في ساحة البرج ذهب فيها ثلاث سيدات وارتج مخ السائق

نعم لو عملت حكومة لبنان الكبير عملا جدياً مع الشركة الفرنسوية التي تدير الخطوط وانشأت مجلساً من كبار الموظفين فيها وفي الشركة تجعل على رأسه وزير النافعة ، لجاء من وراء

ذلك اصلاح الخطوط وانتظام السير وتقصير مدة السفر

يقوم القطار من محطة بيروت في الساعة ٧ وربع صباحاً فلا يصل الى دمشق الا بعد الساعة الخامسة . والمسافة كلها لا تزيد عن ١٤٠ كيلو متراً . والراكب في هذه المسافة في الدرجتين الاولى والثانية محصور في مركبة مقفولة عليه من البابين لان طريقها من الخارج ، فلا يستطيع الشرب الا اذا وقف القطار في محطة . اما اذا اضطر الى قضاء ضرورة فلا سبيل اليها الا اذا نزل من القطار وخلع ملابسه امام الناس واضطر الى كشف سوأته

نعم ان القطار يقضي مسافة طويلة بين صعود وهبوط من الحدث الى المريجات . ويقطع هذه المسافة مستنداً الى سلاسل حديدية بين الخطوط وهو يسير بتؤدة وبشديد عزم ، حتى لا تختل الموازنة . ولكنه اذا ترك « المريجات » الى « جديتا » انبسطت الطريق وانتهت السلاسل الحديدية فيصل الى « رياق » في الساعة ١٢ والدقيقة ٤٠ ولكنه لا يقوم منها الا بعد ٣٥ دقيقة لسبب غير معروف . فالقطار القادم من بعلبك يصل الى رياق قبل الساعة ١١ ويبقى ركابه في الانتظار . وبعد ذلك يستأنف القطار سيره الى « يحفوفا » و « سرغايا » و « الزبداني » ولا يقوم من هذه المحطات الا اذا وقف مدة كبيرة ينزل في خلالها عمال القطار للسير بين بناء المحطة وآخر القطار أو للكلام مع

اشخاص بغير سبب كذلك وهكذا يكثر من الوقوف حتى يصل الى « دمر » فيسير الى دمشق بانتظام . وفي الامكان اختصار ساعة أو أكثر من المسافة التي يقطعها من رياق الى دمشق . وليس للمحطات أرصفة لركوب الركاب أو النزول ولا لشحن « العفش » ولا لراحة المسافرين كأن الشركة لا تهتم الا بالايراد والربح الكثير وكأنها ليست من شركات المنافع العامة . وهي آمنة من انتقاد الصحف في لبنان وسوريا . ومن عادتها أنها تعطي لاصحابها والمحررين فيها جوازات للسفر مجاناً كلما طلبوا منها ذلك

والواجب على الحكومة وضع أنظمة بواسطة المجلس الذي أشرنا اليه فتضطر الشركات لقبول هذه الانظمة وهي بذلك تستعمل حقها القانوني شأن الحكومات مع كل الشركات

واظن ان المجلس النيابي سيضع تحت عنايته هذه المسألة لانها على الاخص تتعلق براحة المصيفين . وفي الامكان زيادة عدد القطرات والغاء ايام العطلة بين دمشق وحيفا

* * *

تستخدم الحكومة في لبنان وبيروت الجنود السنغاليين والمغاربة وبعض الفرنسويين . ويقوم بعضهم بحراسة الميناء في بيروت وبعض المصالح خصوصاً الجنود السود . وتستعين بهم

كذلك كلما أرادت جمع السلاح من بلدة أو قضاء من الاقضية .
ولقد رأيتهم في زحلة حضروا مع ضابطهم الفرنسي من بيروت اثناء جمع السلاح من هذه المدينة الهادئة الوديعة التي استتب الامن فيها وتمتع أهلها وزوارها من المصيفين بالامن على أنفسهم وأموالهم وكان عددهم ٣٠ اما الصف ضباط فمن الفرنسويين وهم لا يعرفون لغة البلاد ويتكلم بعضهم الفرنسية بلهجة سنغالية ؟ ؟

واما طريقة جمع السلاح فان السلطة تنظر في دفاتر تعداد النفوس ثم تفرض كمية من البنادق أو المسدسات على القضاء أو المدينة فاذا نقص العدد أو تأخر الناس عن تسليم السلاح المفروض عليهم فرضت عليهم غرامة . ثم تتقاضاها منهم بالطرق الادارية المعروفة في مصر

ولا يمكن لاي كاتب ان ينتقد اعمال الحكومة من حيث جمع السلاح فان ذلك يعود بالفائدة لمصلحة الامن العام والى منع الاعتداءات التي تقع بين السكان بقدر الامكان أو تقليلها .
ولكن الانتقاد لا يوجه الا الى الطريقة التي تستعمل عدم الرفق بالناس بدلا من الصبر والاناة وفرض الغرامات على سكان البلدة مع ان الواجب فرضها على الرجل الذي عنده سلاح حقيقة ويتأخر عن تسليم سلاحه أو فرض عقوبة قانونية يعاقب عليها بالحبس

وعلى ذكر الغرامات بسبب التأخر عن تسليم السلاح علمت

ــ بعد وصولي الى بعلبك ــ ان القومندان العسكري وضع على قضاءي بعلبك والهرمل ٨٧٥ ليرة سورية ثلثها على اهالي القصبة والباقي على اعضاء المجلس البلدي لتأخرهم عن تسليم السلاح المفروض عليهم . ولما تأخر الدفع صدر الامر بتوقيف يوسف بك حيدر رئيس بلدية بعلبك ثم أرسل في الصباح مخفوراً الى بيروت . ويوسف بك حيدر هذا هو الذي تنحى عن رياسة البلدية وأصدر (المفيد) بدمشق . وعلمت كذلك ان السلطة فرضت على قرية علمات الشيعية ٣٧٥ بندقية و٣ مدافع ؟ ؟ . وان وفداً من أهلها قام الى بيروت يطلب وساطة المفوض بهذا الامر لان تلك القرية لا يوجد بها هذا العدد من البنادق ولا مدفع واحد

وبالجملة فالشكاوى من هذه المسألة كثيرة والواجب على الحكومة النظر اليها بعين العدل حتى تمتنع الشكوى ويسود النظام

المشروعات الوطنية

علمت ان كبار الموظفين يشتغلون في مشروعات وطنية تعود على البلاد بالفائدة وبالثروة والغنى الكثير . ومما يقوله الاهالي هناك : ان أول هذه المشاريع هو مشروع خط حديدي بين طرابلس وبيروت فان وصل هاتين المدينتين هو من الامور التي لا يختلف اثنان في منفعته العامة . وقد بدأ رجال الحكومة يحدثوننا بهذا

الخط منذ سنتين أو أكثر وللآن لم يحضر المهندسون من أوربا لدرس المسألة وربما لن يحضروا. وهذا مالا نستغربه كثيراً اذ ان الوعود التي وعدونا بها لم تتحقق واحدة منها . فاذا لم تتحقق مسألة الخط الحديدي المذكور فلا تكون أول المسائل المطروحة في سلة الاهمال

وهناك مشاريع الري التي يسعى بعض الوطنيين في انهاضها منذ السنوات الطويلة ولم تنل نجاحاً على عهد الدولة المنتدبة كما انها لم تنل أقل نجاح على عهد الدولة العثمانية ولكننا نعذر هذه الدولة المعروفة بالامس بسياستها العوجاء بانها تهمل مثل هذه المشاريع لانها لم تكن تنوى مصلحة البلاد . أما اليوم وقد يجاهر لنا الموظفون الفرنسيون علنا انهم لم يقدموا الى هذه البلاد الا لاسعافها بكل ما تحتاج اليه فكيف يمكننا ان نسلم باخفاق مساعي الرجال الوطنيين ، واحضار مشاريع قد ظهرت منفعة تحقيقها للجميع مثل مشروع نبع العسل في لبنان . هذا اذا لم نتكلم عن المشاريع العديدة التي نظمت في داخل سوريا في جهة حمص وحماة ولم نعد نسمع بذكرها وصارت في خبر كان

ان رجال الانتداب الفرنسوي لا يكتفون في بعض الاحيان باهمال المشاريع الوطنية بل انهم يعاكسون بكل قوتهم الجبرية المساعى لتحقيقها . وأكبر دليل على الحقيقة التي أصرح بها ان

الحكومة المنتدبة قد وقفت أعمال الشركة الانكليزية السورية التي كان بودها أن تستعمل مياه نهر ابراهيم لتوليد الكهرباء في أعظم مدن لبنان ، وتسيير القطارات الحديدية والترامويات على المياه وقد كان للصحف اذ ذاك ضجة خفيفة أخفتت في الحال . وقد زعمت الحكومة بعملها هذا ان الشركة شركة انكليزية وانها تريد استثمار البلاد

ولما جاء الالمانيون الى سوريا في زمن الحرب ووضعوا يدهم على سككها الحديدية اتجهت انظارهم الى انشاء سكة حديد تصل رياق بالعفولة (محطة كبيرة بين حيفا ودمشق) ومنها تتصل بالقدس فسكة حديد سيناء فالاسماعيلية . وقد باشروا انشائها في قلب الصحراء في اثناء حملتهم المعروفة على القطر المصري

ولما تم انشاء سكة حديد مصر ـ فلسطين وبلغ القطار حيفا في سنة ١٩١٨ بعد الهدنة ظهر الى ميدان الوجود مشروع جديد يرمي الى مواصلة العمل بها حتى تصل الى رياق (ورياق احدى المحطات الكبرى في سوريا وفيها تلتقي الخطوط الثلاثة ـ خط دمشق وخط حلب وخط بيروت . وخط حلب عريض كالسكك المصرية) واعلن يومئذ ان القطار يسير على الطريق الآتي :

حيفا — عكا ثم يتجه الى الشرق فيصل الى الناصرة صعدا

ثم ينزل الى طبريا فصفد فوادي التيم فرياق ، ومنها يتصل بخط حلب العريض ، وبذلك يستطيع المسافر ان يركب القطار من القاهرة الى الاستانة فاوربا ، او من القاهرة الى حلب فالموصل فبغداد فالبصرة . وأظن انه تم تخطيط هذا الطريق ولكن عدم استقرار الحالة الداخلية في سورية يومئذ حال دون انجازه

* * *

جاء وقت الانتخابات في هذه البلاد ودار على الالسنة في النوادى اسماء المرشحين في حلب وبيروت ودمشق وان بعضهم ترشح للمجلس النيابى بطريقة غير مألوفة وردت في صحف دمشق . وان الرسل توفد من قبل دولة الحاكم الى منازل بعض الكبراء للتوقيع على استدعاآت الترشيح حتى لا يعدلوا عن الدخول في المجلس النيابي . ويجاهد الشبان في دمشق في الاضراب عن الانتخابات كما حدث في فلسطين ويقولون انه لا يجوز الدخول اليها بالطريقة التي مر ذكرها ولهم بروجرامات يطلبونها ويبذلون مجهوداتهم في تأييدها . وأعتقد ان هذه الطريقة غير مجدية لان الانتخابات ستتم وسيلتئم المجلس النيابي في موعده . واذا كان لهم طلبات فما عليهم الا تقديمها بالصورة القانونية وكتابة المقالات في الصحف بشرح فوائدها واظهار الضرر من عدم تحقيقها . وفي الجملة فالشبان في سوريا وبيروت يبذلون

مجهودات كثيرة نحو اصلاح بلادهم وجعلها في المستوى اللائق بها وبتقاليدها . ومن الحق على الحكومة ان تفكر في هذا ولو قليلا وان تؤثر مصالح البلاد على المصالح الخصوصية فتسلك في الانتخابات مسلكاً آخر بدلا من الطريقة التي وردت في المقتبس وفي العمران وفي الصحف الاخرى ، وبذلك تحل المسألة حلاً يرضاه السكان

ومما يحسن ذكره في مسألة الانتخابات ان بعضهم قام بلصق اعلانات كبيرة على جدران الشوارع يحث الناس على مقاطعة الانتخابات ، فاسرع البوليس بنزعها كما انه أمر بتوقيف بعض الحراس لانهم لم يضبطوا الفاعل . ولانه وجد في سراويلهم كمية منها . . كما نقل لي . والظاهر ان دمشق في حاجة الى الحرية ، خصوصاً حرية الصحافة ولو انهم الغوا المراقبة قبل الطبع ولكنها لا تزال موجودة في الواقع . وفي حاجة الى قراءة الصحف العربية الكبرى مثل «الاهرام» الذي لا يسمح به الا لاصحاب الصحف وبعض الكبراء . اما باقي النسخ فترد لاصحابها بغير طريق البريد . وعلمت من صاحب جريدة ان بعض الاعداد ترد اليه مقصوصة أو ناقصة . وهذا بخلاف الواقع في بيروت لان أهاليها رأيتهم يتمتعون بكل حرية ويتناقشون في كل الموضوعات ويقرأون الصحف المصرية كما يقرأون صحف بلادهم

ومما لاحظته اثناء سفري الى دمشق ان شرطيا يركب القطار من يحفوظا ويسأل الركاب في الدرجتين الأولى والثانيه ، والذي يشتبه فيه من ركاب الدرجة الثالثة ، عن اسمائهم وبلادهم ويطلع على جوازات سفرهم ثم يقيد الاسماء في كشف علمت انه يقدمه الى ادارة الامن العام . وهناك مسائل أخرى سنعود الى الكلام عنها

المعاملات في سوريا

اذا كثرت النقود في بلد قلت قيمتها الشرائية . ونعبر عن ذلك عادة بقولنا ان أسعار الحاجات أو العروض غالية . واذا قلت النقود زادت قيمتها الشرائية . ونعبر عن ذلك بقولنا ان أسعار العروض رخيصة . وأقرب شاهد يحضرنا على الحالتين مصر وسوريا . ففي مصر النقود كثيرة بفضل عظم الثقة المالية والعروض غالية لانها مطلوبة ولكن المصري لا يشكو الغلاء لانه يجد عملا يعمله وأجرا يوازى ذلك العمل . أما سوريا فالنقود فيها قليلة لاضطراب سوق النقود وضعف الثقة المالية فالعروض رخيصة لانها غير مطلوبة ، والسوري لا يطربه هذا الرخص لانه لا يجد عملا يعمله ، وحيث لا عمل فلا أجر ولا مال . والاجر الذي يأخذه اذا وجد عملا يعمله متغير القيمة كل يوم ، فهو لا يعلم اليوم اذا كان في كيسه مائة غرش كم تكون قيمتها غداً

أتسعين أم ثمانين أم خمسين أم أقل من ذلك . فقد أخبرنا الذين صيفوا في لبنان في السنة الماضية انهم كانوا يصرفون الجنيه المصرى يوماً بمبلغ ٣٥٠ غرشاً سورياً ويوماً بثلاثمائة وتسعين ويوماً بثلاثمائة وستين . وأخبرنا الذين صيفوا هناك هذا العام أنهم صرفوا الجنيه المصري بمبلغ ٤٢٠ وبمبلغ ٤٢٥ وأقل أو أكثر على حسب حالة الفرنك من الصعود أو النزول

وتسمع الذين يأتون من أهل سوريا الى هذه الديار يشكون الغلاء هنا ويقابلونه برخص الحاجات في سوريا فيقولون لك مثلا ان أقة العنب كانت تباع هناك باربعة ملليمات وهي تباع هنا باربعة غروش وستة وثمانية . فاذا قلت لهم وما الفائدة من أن تكون الاشياء رخيصة في بلد ولا عمل ولا مال فيه ؟ قالوا هذا صحيح لا عمل ولا مال هنا فياليت العروض كانت غالية وكان في أيدي الناس مال يشترونها به

وأعظم فرق بين العهد العثماني الماضي والعهد الفرنسي الحالي في سوريا ان العروض كانت في العهد العثماني رخيصة كلها الى حد لا يصدق وكانت النقود التي في أيديهم ذهباً وفضة وقيمتها الشرائية عظيمة . وكانت الاجور التي يحصل العمال عليها كبيرة القيمة الشرائية على قلتها . اما الآن فبعض الحاجات رخيص وهو ما كان من نتاج البلاد أما الباقي فغال ، والاشغال ليست

أروج مما كانت في العهد العثماني ، والنقود اما نيكل واما ورق تابع للفرنك الفرنسي ، والاجور لم ترتفع على نسبة ارتفاع الحاجات التي ترد البلاد من الخارج . والاحكام ليست أحسن مما كانت عليه من قبل

دمشق وحالتها الحاضرة

وسكة حديد الحجاز

دمشق مجلى للجمال الطبيعي منذ الازل ، وستظل مغنى من مغاني البدائع الى الابد ، بالرغم من اهمال بلديتها طرق الاصلاح فيها . وهي أقدم مدينة ثبت عمرانها على وجه الارض . وقد جاء في الآثار أنها من بقاع الخلود الى يوم الحشر

اشتهرت في الادب العربي كلمة المنشيء البليغ أبي بكر الخوارزمي « جنات الدنيا أربع : غوطة دمشق ، وصغد سمرقند ، وشعب بوان ، وجزيرة الابلة » قال الخوارزمي « وقد رأيتها كلها وأفضلها دمشق »

تلك هي أول عاصمة للاسلام ، بعد دور الخلفاء الراشدين ، ومنها زحفت جيوش العرب لفتح الدنيا حتى اسوار الصين شرقاً ، وسيف البحر من أقصى مراكش غربا ، والى اسپانيا فاسوار پواتيه من أوروبا يوم كان الناس ناساً والزمان زماناً

وصلتُ الى هذه المدينة الفيحاء مساء يوم ٣ اكتوبر قادما من بعلبك بطريق السكة الحديدية التي وصفتها في المقالة الماضية وشاهدت في طريقي الانهر التي تصل اليها وتجتاز شوارعها وتروي البساتين والمنازل فيها وتسقي الارض التي تخرج الحب والفاكهة ووجدتها تبدأ من وادي الزبداني ثم تتغذى في طريقها الى دمشق من عدة انهر ومن المياه التي تنحدر من أعالي الجبال وهي كبياض الثلج قبل الوصول الى بلدة (دمر) وبعدها . ثم تتوحد ويطلق عليها اسم « بردى ». وبعد ان تجولت في البلدة وعاينت حالتها الحاضرة وجدت ان الظروف التي طرأت عليها بدلت بعض احوالها وازالت بعض رونقها وبهائها وغيرت طرقها وأظهرتها في حالة تدعو الى الاصلاح حتى يأمن السائر فيها من الوقوع أو من الاصطدام بالاحجار الصغيرة البارزة أو من الوقوع في الحفر التي كثرت من وقت نشوب الحرب الى الآن

اما أهاليها وسكانها فلا يزالون على حالتهم الاولى: أهل صدق وذمة ومكارم اخلاق

ولو أتيح للمدينة ما يتاح لغيرها من المدن الكبيرة لرأيتها سباقة في كل شيء . نعم انهم ينتفعون بالمياه المنحدرة بسرعة في التنوير وادارة المطاحن وتوليد القوة لادارة الترامواي ، ولكن السهول المنبسطة حول دمشق تنتظر تحسين طرق الري

والمعدات الزراعية الحديثة لاظهار ما يكنه طينها من الخيرات .
وزراعها الاشداء ذوو السواعد القوية يصرخون من اهمال
الحكومة لامرهم ، ومن الضرائب الكثيرة المفروضة عليهم ،
ويطلبون ايجاد اعمال لافراغ حماستهم منتظرين المياه لري أراضيهم
التي حرثوها من زمن . وتركوها حتى يأتي زمن المطر . ويقولون
ان ابواب المشاريع عندهم واسعة وانها تعطي الارباح الطائلة
للمشتغلين بها من عمال وأصحاب رؤوس أموال وزيادة صادرات
البلاد ، واحياء الحالة الاقتصادية التي ساءت كثيراً خصوصاً في
هذه الحاضرة

فطرق المواصلات التي هي ثروة البلاد في حاجة الى التحسن ،
وخصوصاً في المدينة وضواحيها . والاموال التي تجمع اليها من
التجار والسكان كثيرة تفي بالاصلاح وعمل المتنزهات ورش
الطرق بعد رصفها . وفي الامكان تشغيل بعض الاهالي في هذه
الاعمال ، حتى لا يهاجروا من بلادهم الى أميركا وكندا . ويطول
بنا المقام لو حاولنا وصف الحالة في هذه المدينة ودولة سوريا على
الخصوص . فأهاليها يتذمرون من ضرائب الطرق والنفوس
والتمتع

وعلى ذكر التمتع نقول : ان هذه الضريبة تتقاضاها
الحكومة هناك من العمال والتجار وغيرهم . فمثلا اذا استأجر

أحد العمال ـ كصانع أحذية ـ مخزنا في اطراف المدينة يشتغل فيه بعض العمال لان دكانه ضيقة ، فالحكومة تتقاضى عليها ١٠ مجيديات في السنة على ان أجرتها ٩ مجيديات طول العام فكأنها تتقاضى هذه الضريبة بأكثر مما يتقاضاه صاحب الملك . وقد سمعت الشكوى من هذه الحالة

وصاحب الجريدة يدفع ضريبة بصفته صاحبها وضريبة أخرى بصفته مدير المطبعة وضريبة ثالثة بصفته رئيساً للتحرير . وقس على ذلك في الاحوال الاخرى . وقد تظلم بعض أصحاب الصحف في سوريا من هذه المعاملة ووضعت شكايتهم موضع نظر ولاة الامور . وأظن لو ان الحكومة هناك نظرت الى الضرائب وعدلتها الى حد يحتمل فان جانباً من ابنائها الذين هاجروا الى البلاد الاخرى يعودون الى وطنهم الاصلى فينتفع بهم الوطن ويشتغلون في عمرانه وتقدمه بما يلقون من سعة صدر الحكومة وانفساح مجال العمل امامهم بحرية ورعاية

اما النساء ، فحدث عن الحشمة والادب ، وبحسبي ان أقول لك انهن سليلات العرب . جمعن كل صنوف الحجاب فتراهن في الطريق يسرن وهن يلبسن « التزيرة من الحرير » بكل حشمة ووقار . ولا يخرجن الا مع بعولتهن للرياضة أو للزيارة . وعدا ذلك فهن متعلمات صالحات

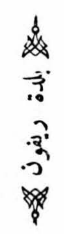
واعلم ياصاح ان كل حارة بها ، وكل دار منها ، وكل حجر فيها ، يتحدث اليك — فيما لو نظرت اليه بالباصرة والبصيرة معا — ويناجيك حينئذ بما كان للعرب وللاسلام في تلك الربوع

بل ان الشوارع والدروب ، وابواب السور ، والقلاع والحصون والقصور ، تدلك على آثار ملوك الاسلام من أيام صلاح الدين الايوبي الى آخر أيام حكم الاتراك

واما اسواق دمشق فهى كاسواق القاهرة القديمة أو سوق المغاربة في الاسكندرية .واللغة العربية في تقدم ، وادباؤها من شيوخ الادب . وكل مباحثاتهم في آداب اللغة العربية وتاريخها ، ومباحثاتهم السياسية فيما يعود على قطرهم بالمنفعة

ومدينة دمشق هذه هي التي فتحها الصحابة في المحرم سنة ١٤ وبعد ان أخذوا الغوطة وكنائسها عنوة تحصن أهل المدينة وأغلقوا بابها فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي في زهاء خمسة عشر ألف ضمهم اليه أبو عبيدة ، ونزل عمرو بن العاص على باب توما ، ونزل شرحبيل على باب الفراديس ، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية ، ونزل يزيد بن أبي سفيان على الباب الصغير الذي يعرف بكيسان . وهذه الأبواب لا تزال موجودة الى الآن وتعرف بالاسماء المذكورة ، مع تغيير في معالم البناء

والاخبار في فتحها كثيرة ولكن الثابت بالاخبار والآثار



بلدة ريفون

ان خالداً رضي الله عنه دخلها من الباب الشرقي قسراً ودخلها أبوعبيدة سلما من باب الجابيــة . واما من حيث دلالة الآثار فان جامع دمشق لم يكن بيد المسلمين منه قبل عمارته الا الجانب الشرقي بحكم السيف ولم تزل الـكنيسة من غربه الى ان استبدلها الوليد بن عبد الملك لما عزم على بنائه في خلافته . هذا ما رواه الحافظ ابن عساكر

تمتاز دمشق عن البـلاد السورية بوجود المسجد الاموي فيها ،وهو من أفخم المساجد الاسلامية وأبدعها جدد عدة مرات وأصيب بالحريق غير مرة ولـكن أعيد الى بعض روائه والى زخرفته النادرة المثال وترى مناراته ترتفع عن المنارات الاخرى. وهو عامر بذكر الله واقامة الشعائر الدينية. وللمذاهب الاربعة ائمة فيه ومنبره من أحسن المنابر مما يدل على ان الصناعة العربية من أتقن الصناعات وأحسنها . وبه مقام النبي يحيى عليه السلام وبه مكتبة تحتوي على عدة نسخ خطية من القرآن وعلى كتب دينية وبجواره مدرسة للتهذيب الاسلامي أنشئت في مدرسة الشميصاتية التي هي دار عمر بن عبد العزيز

* * *

وعلى ذكر جامع دمشق نقول اننا رأينا على الجدار الشرقي بجوار المحراب « هذا مقام نبي الله هود» . وشاهدنا الناس تقف

بجوار هـذه الكتابة للتبرك . ولما كنا نعلم ان النبي هوداً عليه السلام أرسـل الى قومه في حضرموت ، وان مزاره في بلدة المكلا ، وان هناك كما حدثني أستاذنا الفاضل الشيخ عبدالوهاب النجار سجلاً يقيد فيـه اسماء الاشراف وقبائلهم بمعرفة بعض العلماء ، فسألت بعض أفاضل دمشق في معنى هذه العبارة فعلمت منهم ان أهالي دمشق عند ما علموا بان العباسيين بعد زوال دولة بني أمية يريدون نبش قبر معاوية بن أبي سفيان المدفون في داره الخضراء الواقعة بجوار المسجد من خلف الجدار الذي كتبت عليه هذه الجملة ، اثبتوا فوق الجدار ان هنا مقام النبي هود فلم يجرأ والي دمشق العباسي على نقض الجدار وعلى نبش قبر معاوية بن أبي سفيان

ومما يذكر عن تاريخ دمشق لما ولي معاوية بن أبي سفيان أنه أراد ان يزيد كنيسة يوحنا في المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فامسك . ثم طلبها عبـد الملك بن مروان في أيامه للزيادة بالمسجد وبذل لهم مالاً فأبوا ان يسلموها اليه . ثم ان الوليد بن عبـد الملك في أيامه بذل لهم مالا عظيما على ان يعطوه اياها فأبوا فقال لئن لم تفعلوا لاهدمنها فقال بعضهم يا أمير المؤمنين ان من هدم كنيسة جن وأصابته عاهة فأحفظه قوله ودعا بمعول وجعل يهـدم بعض حيطانها بيده وعليه قباء خز أصفر . ثم جمع الفعلة

والنقاضين فهدموها وأدخلها في المسجد فلما استخلف عمر بن عبد العزيز شكا النصارى اليه ما فعل الوليد بهم فكتب الى عامله يأمر برد ما زاده في المسجد عليهم فكره أهل دمشق ذلك وقالوا نهدم مسجدنا بعد أن أذنا فيه وصلينا ؟ ثم أقبلوا على النصارى فسألوهم ان يعطوا جميع كنائس الغوطة التي أخذت عنوة وصارت في أيدي المسلمين على ان يصفحوا عن كنيسة يوحنا ويمسكوا عن المطالبة بها ، فرضوا بذلك وأعجبهم ، فكتب به الى عمر فسره وامضاه . اه

وبمسجد دمشق قبر النبي يحيي وعليه مقصورة من النحاس عجيبة الشكل وبجواره المصاحف الخطية الموقوفة على المسجد وقد زرناه وتبركنا به وصليت الجمعة بجواره ويوجد في دمشق عدا هذا الجامع العظيم آثار عظيمة

وقال ابن جبير في وصف مسجد بني أمية بدمشق :

« هو من أشهر جوامع الاسلام حسناً ، واتقان بناء ، وغرابة صنعة ، واحتفال تنميق وتزيين

انتدب لبنائه الوليد بن عبد الملك رحمه الله ، ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره باشخاص اثني عشر ألفاً من الصناع من بلاده ، وتقدم اليه بالوعيد في ذلك ان توقف عنه . فامتثل أمره مذعناً بعد مراسلة جرت بينهما في ذلك . فشرع فى

بنائه وبلغ الغاية فى التأنق فيه . وأزلت جدرانه كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء وخلطت بها أنواع من الاصبغة الغريبة قد مثلت أشجاراً وفرعت أغصاناً منظومة بالفصوص ببدائع من الصنعة الانيقة المعجزة وصف كل واصف . فجاء يغشى العيون وميضاً وبصيصاً . وكان مبلغ النفقة فيه ـ حسبما ذكره ابن المعلى الاسدي في جزء وصفه وذكر بنائه ـ مائة صندوق ، في كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار ومائتا الف دينار

ذرعه في الطول من الشرق الى الغرب ٢٠٠ خطوة وذرعه في السعة من القبلة الى الجوف ١٣٥ خطوة . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من الشرق الى الغرب سعة كل بلاط منها ١٨ خطوة . وقد قامت على ٦٨ عموداً منها ٥٤ سارية وثماني أرجل جصية تتخللها واثنتان مرخمة ملصقة في الجدار معها الذي يلي الصحن وأربع أرجل مرخمة أبدع ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب وأشكالاً غريبة قائمة في البلاط الاوسط تقلّ قبة الرصاص مع القبة التي تلي المحراب، سعة كل رجل منها ستة عشر شبراً وطولها عشرون شبراً ، وبين كل رجل ورجل فى الطول سبع عشرة خطوة وفي العرض ثلاث عشرة خطوة . وسقف الجامع كله من خارج ألواح رصاص

وأعظم مافي هذا الجامع المبارك قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وسطه سامية في الهواء عظيمة الاستدارة ، قد استقل بها هيكل عظيم هو غارب لها يتصل من المحراب الى الصحن وتحته ثلاث قباب . فاذا استقبلتها أبصرت منظراً رائعاً ومرأى هائلاً يشبهه الناس بنسر طائر كأن القبة رأسه والغارب جؤجؤه ونصف جدار البلاط عن يمين والنصف الثاني عن شمال جناحاه

ومن أي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء منيفة على كل علو كأنها معلقة من الجو . والجامع المكرم مائل الى الجهة الشمالية من البلد ، وعدد شمسياته المذهبة الملونة ٧٤

وفي الجامع المكرم ثلاث مقصورات : مقصورة الصحابة رضي الله عنهم ، وهي أول مقصورة وضعت في الاسلام ، وضعها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه . وبازاء محرابها عن يمين مستقبل القبلة باب حديد كان يدخل معاوية رضى الله عنه الى المقصورة منه الى المحراب . وبازاء محرابها لجهة اليمين مصلى أبي الدرداء رضي الله عنه . وخلفها كانت دار معاوية رضي الله عنه ، وخلفها دار الخيل برسمه ، وهي اليوم مسكونة . وكانت مقصورة الصحابة أولاً في نصف الحائط الاسلامي من الكنيسة ، وكان الجدار حيث أعيد المحراب في المقصورة المحدثة . فلما أعيدت الكنيسة كلها مسجداً صارت مقصورة الصحابة طرفاً في

الجانب الشرقي . وبالجامع المكرم عدة زوايا يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس

وفي الجدار المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات القبلية عشرون باباً متصلة بطول الجدار ، قد علتها قسي جصية مخرمة كلها على هيئة الشمسيات فتبصر العين من اتصالها أجمل منظر وأحسنه . ومنظر الصحن من أجمل المناظر وأحسنها ، وفيه مجتمع أهل البلد ، وهو متفرجهم ومتنزههم كل عشية : تراهم فيه ذاهبين وراجعين من شرق الى غرب ، ومن باب جيرون الى باب البريد ، لا يزالون على هذه الحال الى انقضاء صلاة العشاء الآخرة ثم ينصرفون . ولبعضهم بالغداة مثل ذلك ، وأكثر الاحتفال انما هو بالعشي ، فيخيل لمبصر ذلك انها ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم لما يرى من احتفال الناس واجتماعهم ، لا يزالون على ذلك كل يوم

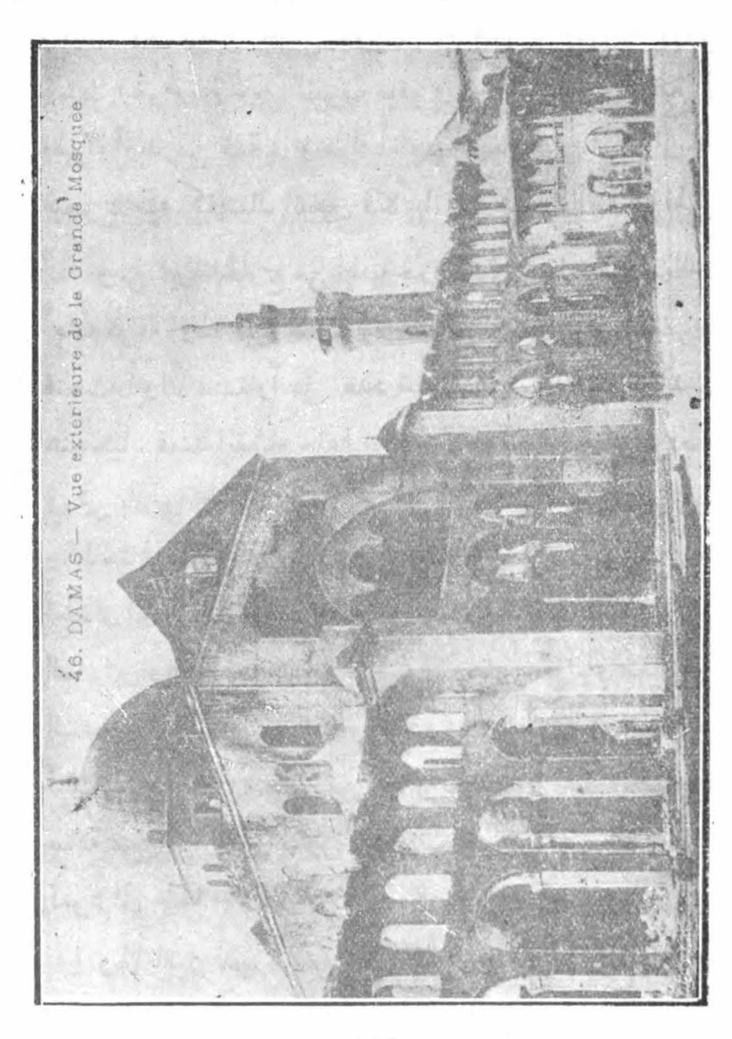
وفي الصحن ثلاث قباب احداها قائمة على ثمانية أعمدة من الرخام مستطيلة كالبرج ، مزخرفة بالفصوص والاصبغة الملونة كأنها الروضة حسناً ، يقال انها كانت مخزناً لمال الجامع ، وله مال عظيم من خراجات ومستغلات تنيف – على ما ذكر لنا – على الثمانية آلاف دينار صورية في السنة . وقبة أخرى صغيرة في وسط الصحن مجوفة مثمنة من رخام قد ألصق أبدع الصاق

قائمة على أربعة أعمدة صغار من الرخام وتحتها شباك حديد مستدير وفي وسطه أنبوب من الصفر يمجّ الماء الى علو فيرتفع وينثني كأنه قضيب لجين . والقبة الثالثة في الجانب الشرقي قائمة على ثمانية أعمدة (وهي اليوم قبة الساعات)

وكان هذا الجامع المبارك ظاهراً وباطناً منزّلاً كله بالفصوص المذهبة مزخرفاً بأبدع زخاريف البناء المعجز الصنعة فأدركه الحريق مرتين ، فتهدم وجدد وذهب أكثر رخامه ، فاستحال رونقه . فأسلم ما فيه اليوم قبلته مع الثلاث قباب المتصلة بها

ومحرابه من أعجب المحاريب الاسلامية حسناً وغرابة صنعة يتقد ذهباً كله . وقد قامت في وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفه سوريات مفتولات لم ير شيء أجمل منها ، وبعضها حمر كأنها مرجان

وله أربعة أبواب : قبلي ويعرف بباب الزيادة وله مرأى رائع ، ومنه يفضي الى دار الخيل ، وعن يسار الخارج منه كانت دار معاوية رضي الله عنه وتعرف بالخضراء . وشرقي وهو أعظم الابواب ويعرف بباب جيرون . وغربي ويعرف بباب البريد . وشمالي ويعرف بباب الناطفيين . ويخرج من باب جيرون الى بلاط طويل عريض قامت أمامه خمسة أبواب مقوسة لها ستة أعمدة طوال . وقد انتظمت امام البلاط أدراج ينحدر عليها الى



مسجد بنى أمية في دمشق

دهليز . وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام وفي وسط الحوض الرخامي انبوب صفر يزعج الماء بقوة فيرتفع الى الهواء ازيد من قامة ، وحوله أنابيب صغار ترمي الماء الى علو فيخرج منه كقضبان اللجين فكأنها أغصان تلك الدوحة المائية

وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صفر قد فتحت أبواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ، ودبرت تدبيراً هندسياً . فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر في فمي بازيين مصورين من صفر قائمين على طاستين من صفر والطاستان مثقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازيين يمدان اعناقهما بالبندقتين الى الطاستين ويقذفانهما بتدبير تتخيله الاوهام سحراً. وعند وقوع البندقتين في الطاستين يسمع لهما دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة بلوح من الصفر ، لايزال كذلك عند انقضاء كل ساعة من النهار حتى تنغلق الابواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود الى حالها الاول

ولها بالليل تدبير آخر . وذلك أن في القوس المنعطف على تلك الطيقان اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرمة . وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة مدبر ذلك كله منها

خلف الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة . فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة امامها شعاعها فلاحت للابصار دائرة محمرة . ثم انتقل ذلك الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليـل وتحمر الدوائر كلها ، وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها وانتقالها يعيد فتح الابواب وصرف الصنج الى موضـعها » انتهى ملخصاً

عود الى وصف دمشق

وقد تغير الحال الآن خصوصاً في الفترة التي يطالب فيهـا أهل دمشق باستقلالهم واصلاح حالهم والشكوى من ذلك كثيرة

وهناك شكوى من المحاكمات التي حوكم فيها بعض الرجال والشبان ، ومن طول مدة العقوبة والنفي وحرمان البلاد من جماعة من المفكرين فضلوا الخروج من البلاد الى بلاد لا تضيق بهم ، لانهم رأوا ان السلطة قد نزعت من السوريين كل حق في تقرير امورهم الخطيرة وخولتهم ابداء الرأي فقط في بعض الاقتراحات كانشـاء الدوائر المركزية والمجالس المحلية والنقابات التجارية . اما نفقات الدولة الاجبارية فلا يجوز لهم المناقشة فيها باي حال من الاحوال.

ولهذا السبب يرجو الشبان من زعماء البلاد ومن اصحاب

لرأي الابتعاد عن الانتخابات ومقاطعتها. لان سوريا تريد رجالا يدافعون عن حقوقها، تريد اكفاء مخلصين درسوا قضيتها وخصومها ويكونون اصحاب مبادىء وعقائد لا يتحولون عنها

والظاهر من مجرى الاحوال هناك ومن الاقوال التي سمعتها ان الانتخاب في هذا العام سيصيب بعض انصار الحكومة ولو كانوا لا يعلمون من السياسة شيئاً بدعوى ان وجودهم في المجلس كفيل بمصلحة البلاد. وعلمت وأنا هناك ان من بين المرشحين للمجلس النيابي احمد بك اليوسف والمحامي عزت افندي وصاحب جريدة سورية الجديدة. وان عارف بك الخطيب قد رشح نفسه عن حماه. واسماء أخرى غابت عن ذاكرتي ابلغت الى المراجع الايجابية قبل يوم ٦ اكتوبر الذي هو آخر موعد للترشيح. وقد أذاع المفوض السامي بلاغا خلاصته انه يطلب من ولاة الامور في دمشق وحلب وبلاد العلويين اتخاذ التدابير اللازمة لصيانة الانتخابات من العبث وجعلها حرة مطلقة وان يعطى المنتخبون الثقة فيما يتعلق بمراقبة أوراق الانتخابات وفي المساواة بين المرشحين المتنافسين وان تداخل السلطات الادارية والدرك سيكون مقصوراً على تنفيذ التعليمات التي صدرت بشأن الانتخابات بدون التأثير على نتائجها الخ الخ

* * *

راجت تجارة السلاح في سوريا ولبنان لان الطريقة التي اتبعت لنزع السلاح من سكان البلاد أدت الى ارتفاع اثمانه وترويج الاتجار به ، فالبندقية التي كانت تباع بـ ٥ ليرات أصبحت تباع بـ ٣٥ و ٤٠ ليرة سورية أو اكثر من ذلك لان الاهالي لا بد من تقديم العدد المفروض عليهم والا عوقبوا وغرموا وبيعت مواشيهم لتحصيل الغرامات . ولو ان الحكومة راجعت نفسها وعدلت عن هذه الطريقة الى طريقة أخرى لزال الانزعاج الذي لحق بالنفوس والذي رأيت نتائجه اثناء سياحتي في هذه البلاد

* * *

ومما يذكر عن هذه المدينة ان محلات الخمر فيها قليلة جداً وعلى الحانات ستائر تجعل السكارى في مأمن من نظر الناس وترى الداخل اليها يدخل بحذر واحتياط كأنه يخشى مراقبة الرقيب. وقد أنشأ فيها بعض الارمن الذين هاجروا اليها في زمن الحرب أو بعدها خمارات بعضها بجوار بعض في شارع يتصل بشارع جمال باشا . ولا يقصدها الا القليل من السكان والضباط والجنود والاجانب وهم كثيرون ويتقاضون مرتبات طائلة

* * *

وقد علمت وأنا هناك من بعض الادباء أنهم يجاهدون لتكون العلاقات بين سوريا والحكومة المنتدبة على اساس

الصداقة والولاء الخالص

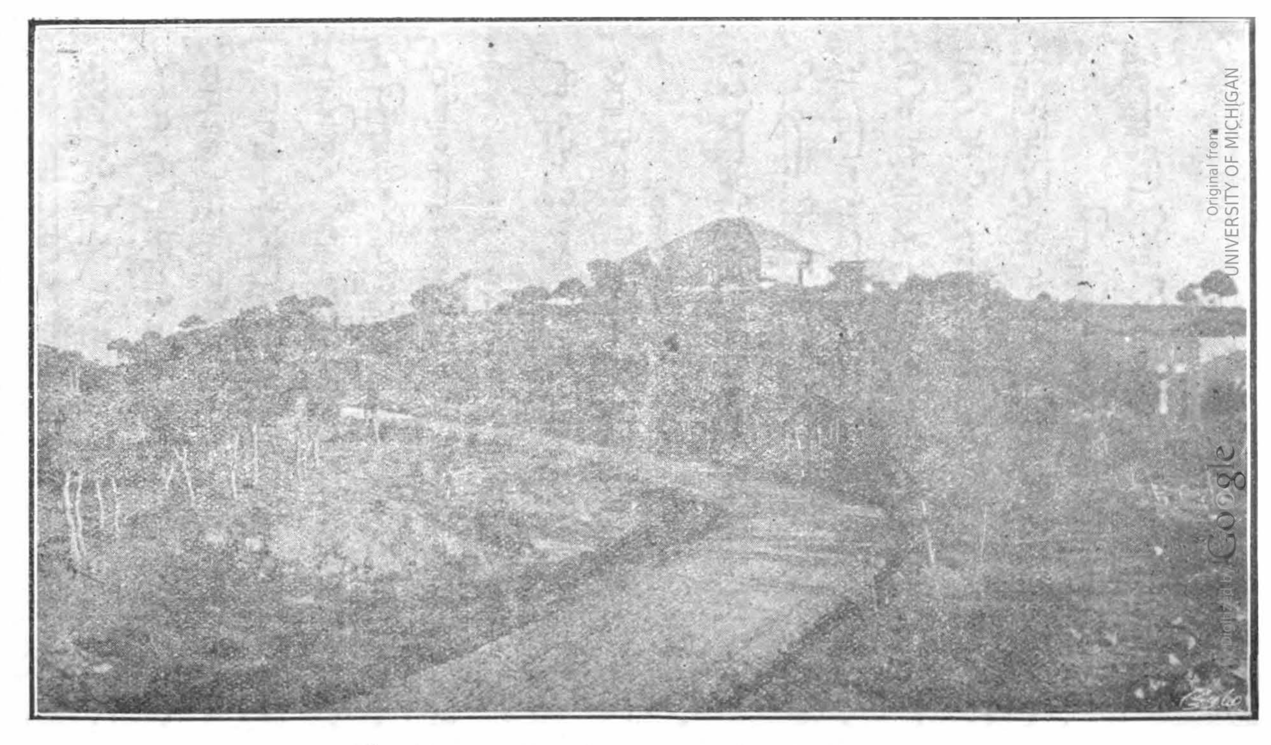
وفي دمشق حركة فكرية كبيرة ، وبها عدة صحف يومية كان عددها وقت ان كنت بها في شهر اكتوبر سنة ١٩٢٣ خمساً: (المقتبس) لصاحبها الاديب الفاضل احمد افندي كرد على ، و (العمران) لصاحبها الاديب الياس قوزما ، و (الف باء) لصاحبها الفاضل يوسف العيسي افندي . و (سورية الجديدة) لصاحبها الفاضل حبيب كحالة و (فتى العرب) وصاحبها حضرة معروف افندي الارناووط . ثم عادت جريدة (المفيد) الى الظهور بعد حضوري الى القاهرة لصاحبيها يوسف بك حيدر ونجيب حيدر وكانت تصدر قبل احتلال الفرنسويين لدمشق . فاصبح عدد الصحف ستا . وسياسة هذه الصحف تختلف بين مناوئة لحكومة دمشق ومناصرة لرئيس الاتحاد ، وفيها كثير من الصحف الاسبوعية أدبية وهزلية . وفيها دار للكتب بلغ عدد ما فيها من الكتب اثني عشر الفاً بين مخطوط ومطبوع . وهي موجودة في بناء اثري بديع بقبة الملك الظاهر ، امام دار المجمع العلمي العربي . وقد حضر الى القاهرة حضرة الاستاذ الفاضل السيد حسني الكسم مديرها وقت طبع هذا الكتاب للسعي في حمل محبي الادب على مساعدة هذه الخزانة باكثار عدد كتبها القيمة ، وهي مرتبطة بالمجمع العلمي العربي الذي يرأسه

الكاتب المعروف الاستاذ الكبير السيد محمد كرد علي ومهمة هذا المجمع البحث في مختلف المسائل العلمية والعلوم العربية ووضع الالفاظ الجديدة التي تحتاج اليها اللغة . وهو يصدر مجلة ذات ابحاث قيمة وله علاقات متواصلة بجمهور المستشرقين الاجانب . وفيها متحف للآثار القديمة تابع للمجمع العلمي توضع فيه الآثار التي تظهر في دولة دمشق مع ما يهدى اليه من الخارج ، ولا سيما ما كان له علاقة بحضارة الشرق عامة والبلاد العربية خاصة

وفيها مدارس وكليات جامعة للطب وللحقوق تدرس فيها جميع الفنون باللغة العربية ، وهي الوحيدة في ذلك في البلاد العربية كلها

ويبلغ أهل دمشق نحو ٣٠٠ الف نسمة اكثرهم مسلمون ، وبقيتهم نصارى ويهود . وقد بنيت دمشق علي شبكة من الانهار والخلج والاقنية والعيون فلا يكاد بيت أو خان أو مسجد أو معبد أو رحى أو حمام أو مصنع الا والانهار تجري من تحته وتسقى أهله وحديقته . وعامتها مستمدة من نهر بردى وما يتفرع عنه من الانهر كنهر بانياس ونهر قنوات ونهر يزيد ، بآنية مصهرجة وأنابيب محكمة الوضع متقنة الصنع

أما ماء الشرب الخاص فقد جيء به من ينبوع (عين الفيجة)


Digitized by Google
Original from UNIVERSITY OF MICHIGAN

ظهور الشوير — مر الكلام عليها في ص ١٤٣

الذي لا يكاد يمتاز عليه ماء آخر . وهو موزع على احياء المدينة في كل حي مورد واحد أو اكثر من موارد مياهه العذبة

ويحيط بدمشق القديمة سور في شماليه قلعتها . أما المدينة الحديثة فقد اتسعت الى خارج السور، وتشرف عليها جبال شاهقة أشهرها جبل قاسيون . وبشرقي دمشق غوطتها التي تنبسط على معظم السهل في تربة حمراء خصبة . وفيها من بساتين الفاكهة والرياحين أشياء لا تحصى . وتشتمل الغوطة على ٢٨ ضيعة اكثر أهلها زراع وحراس للكروم

ولاهل دمشق ـ عدا ميلهم الى الادب والعلم ـ شهرة قديمة في الصناعة كصناعة النسج والدباغة والصباغة والتجارة وتطعيم الخشب بالعاج والصدف . وقد اشترى احد المصيفين ممن كانوا معنا جهازاً لابنته من صناعة هذه المدينة وكان موضع اعجاب المشاهدين ، لرخص ثمنه وجودة صناعته

* * *

ومن محاسن المدينة محطة سكة حديد الحجاز التي أنشئت باموال المسلمين في العالم . والى القاريء وصفها ووصف حالتها فيما يلي :

السكة الحديدة الحجازية

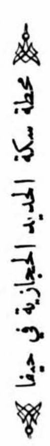
من دمشق الى حيفا

من درعا الى معان

انشئت السكة الحديدية الحجازية باموال جمعت من مسلمي العالم اجابة لدعوة من المغفور له السلطان عبد الحميد فجاءت آية من آيات الفن الهندسي وشهادة ناطقة بان المهندسين الاتراك من صفوة مهندسي العالم . لانهم هم الذين قاموا بانشائها بمساعدة المهندس الالماني الشهير مايسنر

تبدأ هذه السكة الطويلة الكثيرة التعرج والانفاق من محطة دمشق التي بنيت على طراز المحطات الكبرى ، وتجتاز بعد محطة الكسوة سهل حوران الخصب ، في واد منبسط بين جبلين ، وهذا السهل هو الذي يخرج لبلاد سوريا ولبنان وفلسطين القمح والذرة والشعير والفول . وقد قام اصحاب الارض بحرثها وتهيئتها لزراعة الحبوب ، وهم ينتظرون رحمة الله بنزول المطر

ويسير الخط من درعا الى « عمان » مقر حكومة شرق الاردن ، التي ظهرت للوجود بسبب الحرب الماضية ، وهي التي يرأسها الآن سمو الامير عبد الله ، ومنها يسير الى معان فبلاد



محطة سكة الحديد الحجازية في حيفا

الحجاز . ويمتد فرع من الخط من درعا سائراً في وادي اليرموك الى « الحمة » وسمخ ومن ثم يجتاز أراضي فلسطين من بيسان الى حيفا . وفي وادي اليرموك بين مرتفع الجبال الى علو ١٠٠ متر واكثر . ويسير نهر اليرموك في أسفل الوادي والسكة الحديدية مرتفعة عنه نحو ٧٠ أو ١٠٠ متر . وفي نقطة من هذا الوادي يسكن عرب المناذرة . وتنحدر المياه في بعض نقط من على الجبال . ووادي اليرموك هذا هو الحد الفاصل بين سوريا وفلسطين . وتخترق السكة في هذا الوادي ٧ انفاق احدها فوق الآخر حتى تترك الجبال وينبسط الوادي امامها فتسير من الحمة الى حيفا في طريق سهلة ومساحات كبيرة من الارض الزراعية

هذه هي السكة الحجازية التي كانت السبب في تسهيل المواصلات لسكان سوريا وفلسطين ولمن يريد منهم أو من المصريين زيارة المدينة المنورة . قامت بوظيفتها اكثر من ١٨ سنة ولما قامت الحرب واشترك فيها عرب الحجاز وسكان العقبة ومعان وبعض الجنود المصرية بقيادة بعض الضباط العظام ـ كان من أهم اعمال الاعراب في ذلك الوقت تعطيل المواصلات وتخريب السكك الحديدية لانها كانت طريق المواصلات الوحيد للترك فاذا عطلت لاتتمكن القيادة التركية من ارسال نجدات الى فخري باشا قائد حملة المدينة حينئذ

وكانت الحكومة التركية تدفع مخصصات شهرية للقبائل البدوية النازلة على طول الخط باسم حراسته. كما انها كانت تقوم بسد العجز في ميزانية السكة الحجازية لان النفقات كانت تربو على الايرادات. وذلك لانه كان من أهم اعمالها قبل ان تدخل الحرب وتشترك فيها تسهيل سبل المواصلات لسكان البلاد ونقل محاصيلهم من بلد لآخر وللاكثار من زوار مدينة الرسول والانتفاع منهم بالنفقات التي ينفقونها اثناء ذهابهم وايابهم وكانت دمشق في ذلك الوقت قبلة القادمين من الاناضول وحلب والعراق وبغداد

أما نظامها فمن أحسن الانظمة وأدقها: فالمركبات نظيفة ومتسعة ورياشها من أجمل الرياش وفيها ما يلزم لراحة المسافر من الماء والمراوح الكهربائية وقطرها متينة وقوية وعمال السكة من اكثر الناس أدباً. ولها في دمشق ادارة خاصة تسيطر على الاعمال فيها. وتقوم باصلاح الخط والمركبات حتى الحمة. ويدخل الجزء الباقي من فرع فلسطين تحت سيطرة حكومة فلسطين. والظاهر ان الايرادات فيها على مقدار النفقات. لانها كثيرة في هذه الايام. خصوصاً المرتبات التي تدفع للاجانب الذين التحقوا بها من أواسط سنة ١٩٢٠ الى الآن! ومنهم المهندس والمفتش والمأمور. وعمال الباسبورتات الذين يركبون القطارات لمراقبة

جوازات الركاب

وعلى ذكر الباسبورتات . نذكر ملاحظة يجب على الحكومة هناك ان تهتم بها وتأمر بتلافي الخلل . وهي انه بعد أن يجتاز القطار محطة الكسوة يمر موظف فرنساوي ومعه آخر من ابناء البلاد كتب على ياقة معطفه (شرطة دمشق) فيطلب من الراكب جواز سفره . وبعد ان يتسلمه يقول له انه سيرده اليه بعد درعا . ويبقى الراكب تحت رحمة هذا الشرطي فاذا فقد منه الجواز أو سلمه لآخر خطأ كانت الطامة الكبرى وخصوصاً بعد وصول القطار الى الحمة حيث يتسلم القطار عمال آخرون من قبل حكومة فلسطين . ولا بد من نزول الراكب في محطة سمخ حتى يحصل على جواز سفر من حكومة بلاده . وهيهات هيهات

حدث في يوم ٣ اكتوبر ١٩٢٣ أن يونانياً يشتغل متعهداً في حكومة شرق الاردن لتوريد الملابس أخذ جواز سفر من هذه الحكومة . وركب القطار الى درعا . وطلب منه جواز السفر كالعادة فسلمه الى الموظف المختص . فبدلا من ان يعيده هذا الموظف اليه بعد اجراء اللازم نزل من القطار بغير ان يعطي الرجل جوازه . وأرسل الجواز الى حكومة دمشق . وفي محطة سمخ جاء الموظف الفلسطيني يطلب الجواز من اليوناني ولما لم يجده معه أنزله من القطار فاضطر الرجل للعودة الى عمان

وهناك أخذ جواز سفر آخر فتعطلت اعماله اكثر من خمسة ايام . واتفق نحو ٦ جنيهات لهذا السبب . ثم ان عامل البسابورت في الجزء الذي يمر من الخط في شرق الاردن أو فلسطين يقلد زميله ويأخذ الجوازات ليقيدها عنده . وهذا العامل مصري وكان من ضباط الجيش وكل الناس تثني عليه . ولكن ذلك لا يجعل المسافر مطمئناً على نفسه . فمن الواجب استبدال هذه الطريقة بغيرها اذا كان لا بد منها والاطلاع على جواز السفر وختمه بجوار الراكب كما تفعل الحكومة المصرية من القنطرة الى حيفا أو من العريش الى القنطرة

* * *

في الجزء الواقع من الحمة الى بيسان تختص حكومة شرق الاردن بمساحة من الارض تمر فيها السكة الحجازية وكانت من نصيبها بعد مفاوضات كثيرة بينها وبين الانكليز والفرنساويين . وهي من الحمة الى سمخ ولكن الانكليز في فلسطين يديرونها بالنيابة عن العرب ويأخذون ايراداتها لحساب سكة فلسطين ثم يتحاسبون عليها مع حكومة شرق الاردن بالطرق الرسمية ؟ ؟

أما من درعا الى معان فتسير القطارات على هذا الجزء من الخط بعمال من حكومة شرق الاردن وعددها أربعة فقط أخذتها مع مركباتها على سبيل العارية من ادارة السكة الحجازية

في دمشق . وقد علمت وأنا هناك ان المواصلات بين المدينة وحكومة شرق الاردن بالسكة الحديدية رممت ترميما موقتاً وان القطارات على وشك السير عليها وكان ذلك على أثر مفاوضات دارت بين حكومتي فلسطين والحجاز . وتم الامر أخيراً على ان اصلاحها يكون بمعرفة العرب وقد كان

واصدرت رياسة الديوان الهاشمي بلاغاً عن الخط الحجازي جاء فيه انه نظراً لاهمية الخط الحديدي الحجازي من الوجهة المادية والادبية وما يتوقف عليه من تسهيل الحج وحفظ راحة الحجاج والزوار ، الغرض الذي انشىء الخط لاجله ، عدا عن الفوائد التي تحصل بتقريب ما بين القطرين الحجازي والسوري من اجتماعية وتجارية ؛ صدرت الارادة السنيه الملوكية الى صاحب السمو الامير عبد الله ودولة حاكم شرق الاردن باتخاذ ما يضمن هذه الغاية ، والشروع في التعميرات الاحتياطية من المدينة المنورة ، وفعلا جرت مباشرتها كترتيب المحطات اللازمة وتهيئة كل ما يضمن المصلحة وراحة المسافرين مثل تأمين المخابرات بالتلغراف اللاسلكي ، وقد وضعت المحطات اللاسلكية في بعض البلاد كالمدينة المنورة والبوير والعلا وتبوك

* * *

وتؤخذ تذاكر السفر من محطة دمشق الى الحمة أو الى درعا

ومعان بالنقود السورية . ومن الحمة الى حيفا بالنقود المصرية ومن حيفا الى مصر كذلك

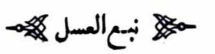
مدينة السلط

في منطقة الشرق العربية (شرق الاردن)

مدينة السلط ، أو كما كان يسميها المؤرخون « الصلت » هي من أعظم بلدان منطقة الشرق العربية . وهي مشهورة بعمرانها وكثرة سكانها وطيب مناخها . وا كثر حاصلاتها العنب وتصدر منه كميات وافرة الى فلسطين وغيرها

وا كثر سكان السلط من أهالي نابلس، نزحوا اليها منذ زمن غير قريب ، واستوطنوها وبنوا بها الدور والمنازل الفخمة ، واحترفوا التجارة فاستفادوا من مركزها التجاري لوقوعها بين فلسطين وبادية عبر الاردن . وفيها عدد غير قليل من المدارس الرسمية والاهلية ، وللطوائف المسيحية فيها كنائس واديرة ومدارس

وكانت حكومة الشرق العربية قد فكرت كثيراً في أن تجعل السلط عاصمة إمارتها حتى انها انتقلت اليها بالفعل في اثناء غياب صاحب السمو الملكي الامير عبد الله في رحلته الاخيرة الى أوروبا والحجاز . ولكن بعد أن عاد سموه الى منطقته اختار بلدة « عمان » لقربها من السكة الحجازية ولتوسطها بين بلدان



نبع العسل

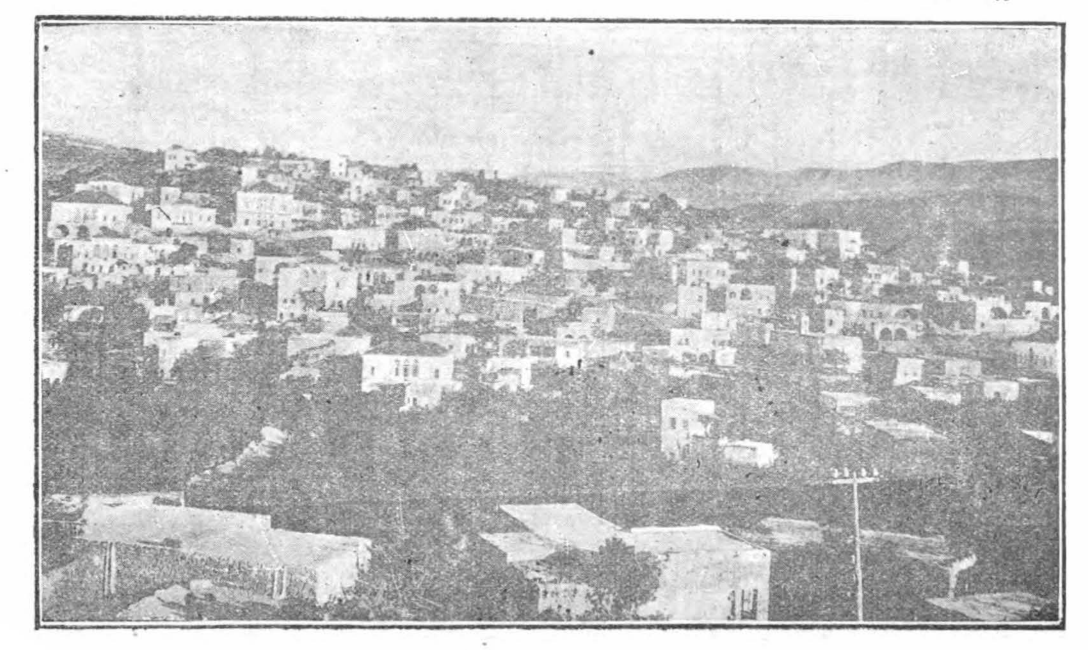
شرق الاردن ولاسباب أخرى . فنقلت حكومة سموه مركزها ثانية من السلط الى عمان حيث هي الآن

وتمتاز مدينة السلط في تلك المنطقة الزاهرة بكثرة مياهها وجمال بساتينها وحسن أبنيتها وفيها كثيرون من العائلات الكبيرة الاسلامية والمسيحية . وهي اليوم مركز لواء البلقاء

* * *

ويطول بنا المقام لو حاولنا وصف الحالة في حكومة شرق الاردن . وفي حكومتي سوريا وفلسطين . فنكتفي بما تقدم في الرسائل الماضية للدلالة عليها وان الواجب عليها التنبه الى وجوب اصلاح البلاد وتنظيم طرقها وسككها . وتخفيف الضرائب عن عاتق السكان حتى لا يكره الاهالي على المهاجرة وتخلو البلاد من ابنائها العاملين

من يجوب طرقات بيروت ودمشق وشوارعهما والمنعطفات فيهما يرى ان مجال العمل متسع وان اصلاحات كثيرة يمكن القيام بها في مدة غير طويلة فهناك شوارع لا يستطيع السائر المشي فيها الا بمشقة لان الارض فيها مدببة من الحجارة التي طال عليها القدم وكذلك الارصفة وهي قبل غيرها في حاجة الى ترميم ومثل ذلك بعض المنازل ولا نرى الاسهاب واجباً في بيان ذلك لانه ظاهر لرجال الحكومة وللزوار



بعبدا وهي مركز متصرفية لبنان

آثار الفراعنة في فلسطين

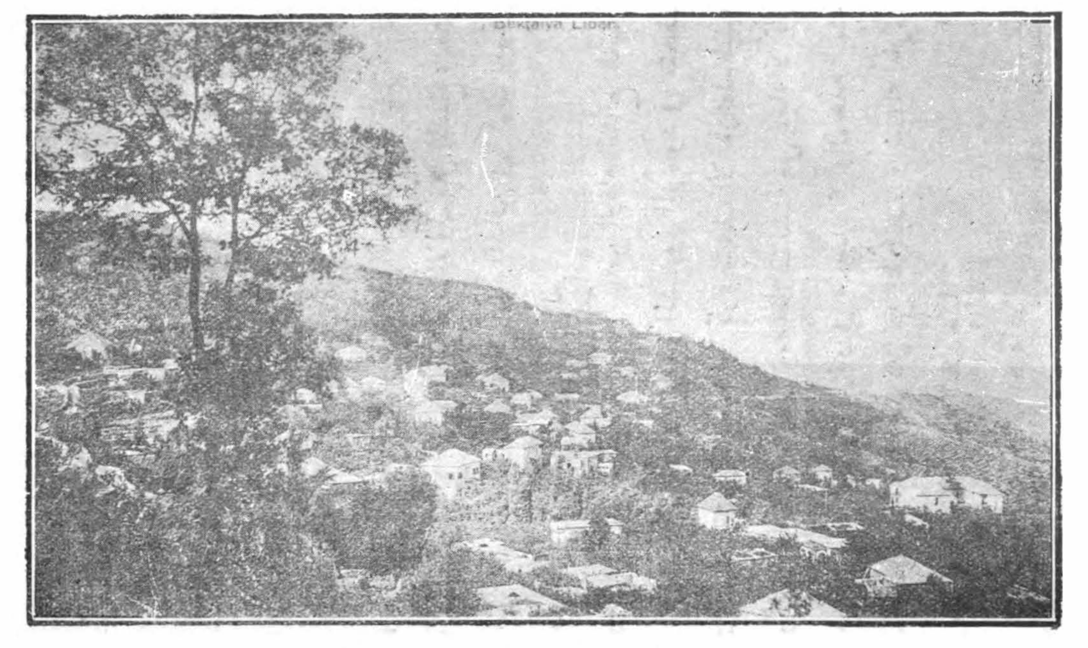
عثرت بعثة متحف جامعة فيلادلفيا في بيسان التي هي (بيت شان) القديمة على لوح من الرخام الاسود للملك سيتي الاول منقوشاً نقشاً بديعاً . وقد ذكر عليه اسم بيسان ونقشت عليه اعمال فرعون الحربية في فلسطين وعثرت البعثة أيضاً على ناووس نقش عليه اسم فاليون عم هيردوس العظيم

ومن الآثار الهامة التي عثرت عليها البعثة تسعة عشر مدفناً مزينة لاسرة من كهنة اليهود في القرن الاول قبل المسيح ، نقش عليها اسماء يهودية . وقد وجدت هذه المدافن في كهف للموتى في وادي كدرون بالقرب من أورشليم

ووجدوا بقرب قيصرية ناووساً من الرخام البديع النقش وجد انه مثل ناووس الاسكندر المشهور الموجود في متحف الاستانة وقد وضعت كل هذه الآثار في متحف الآثار الفلسطينية

وعلمت كذلك ان الحكومة اجازت لبعثة من علماء الآثار من أميركا ان تبحث عن الآثار في « بيسان » وان هذه البعثة عثرت اثناء حفرها على عمودين من الجرانيت وأشياء أخرى وسترسل الى أميركا وتحرم البلاد منها

* * *



بكفيا — مر الكلام عليها في ص ١٠٦

جوازات السفر والمهاجرة

كان من المحتم على السوريين واللبنانيين وغيرهم ان يكون بيدهم جواز سفر اذا رغبوا في المهاجرة من بلادهم الى بلد آخر أو خرجوا للسياحة . واستمر الحال على هذا المنوال حتى صدر الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨ فالغيت هذه القيود وترك الناس احراراً في الدخول والخروج . ولما تغيرت الاحوال وظهرت مسألة الانتداب في لبنان وسوريا وفلسطين وبلاد العلويين وحلب تقرر العمل بجوازات السفر ، واصبح من المحتم على كل من يزور هذه البلاد أو يخرج منها ان يكون معه جوازات سفر . ونحت مصر هذا النحو وعينت بعض الموظفين للاطلاع على جوازات السفر بين القنطرة وحيفا كما سأبينه بعد

ثم ان اكثر الاجانب الذين حضروا الى مصر ، حضروا لكسب المال والعودة به الى أوطانهم الاصلية ولكنهم أفادوا مصر فوائد كثيرة ليس هنا محل البحث فيها . وهؤلاء كانوا يجدون من الحكومة صدراً رحباً وعناية كبيرة

وفي حين ان حكومة مصر وحكومات أوروبا ترى ان في المهاجرة خطراً رأت حكومة فلسطين ان في وجود المهاجرين فائدة لها وتنفيذاً لوعد بلفور القاضي بتسهيل مهاجرة اليهود الى هذه الديار. فأرسلت اللجان الصهيونية الرسل والدعاة الى أوروبا

وغيرها لجلبهم الى فلسطين . وقد رأيت اثناء وجودي في القدس أو في القطارات الذاهبة اليها جماعة من اليهود قدموا من امبركا بعد ان عقدوا القروض في بلادهم بمساعدة الحكومة للاعمال العمومية في فلسطين ومطالبة الدولة الانجليزية المنتدبة بالقيام بشروط انتدابها ، وعلمت من بعضهم انهم يريدون العيش بسلام واخاء مع سكان البلاد الاصليين من العرب ويتعاونون حتى تكون اورشليم مركز سلام العالمين

وعلمت كذلك ان هناك عدة وسطاء يركبون القطارات في الدرجة الاولى من القدس الى بورسعيد أو الاسكندرية ليسافروا منهما الى أوروبا وامبركا للاكثار من المهاجرين اليهود الى فلسطين واذ للفقير منهم خمسة قروش في اليوم عدا أكله ونومه حتى يعمل عملا وتدفع الشركات الصهيونية هذه الاموال وانهم سيعطون الحق في التصويت للانتخابات العامة وهؤلاء الوسطاء يتقاضون مرتبات حسنة (والاجر على قدر المشقة)

وبينما هؤلاء اليهود يصلون الى فلسطين زرافات ووحدانا ليقوموا باعمال الزراعة والصناعة والتجارة بالرغم من أنوف سكانها تجد ان المهاجرين من ابناء سوريا ولبنان يتركون بلادهم جماعات جماعات فلا تغادر باخرة ثغر بيروت الا وعليها المهاجرون بالعشرات . وعلمت وانا في بيروت ان متوسط المهاجرين يبلغ

ألف رجل في الشهر وهو عدد كبير اذا قسناه بعدد سكان سوريا ولبنان . وقد تكلمنا عن الضرر الذي يصيب البلاد بسبب حرمانها من ابنائها في الرسائل الماضية . ولو ان الحكومة وجهت عنايتها الى هذه المسألة وخففت الضرائب عن ابناء البلاد ونظرت الى الحالة الاقتصادية التي أخذت بخناق الناس هناك نظرة تضمن انفراج الأزمة ، لما ترك الناس بلادهم الى بلاد أخرى

* * *

سمحت الحكومة هناك للارمن واليونانيين بالقدوم الى سوريا والاقامة فيها وفي بيروت ، فقدموا اليها جماعات جماعات واشتغلوا بالصناعة وبالتجارة وبالتنافس فيهما . وقد رأيتهم في بيروت ودمشق يبيعون البضاعة بأقل من الثمن الذي يبيعها به السوري أو اللبناني . ورأيت انهم اقاموا اسواقا خشبية امام دار الحكومة في ساحة البرج في بيروت يشتغلون فيها بحلق الذقون وقص الشعور ، بربع القيمة التي يتقاضاها ابن البلد . وكذلك صنع الاحذية ومسحها وعمل السجاد وبيع الثلج والفاكهة وقس على ذلك باقي الصناعات والاعمال . وقد اعتقد ابناء البلاد ان المهاجرة هي ملجأهم الوحيد بدلا من الاقامة في بلاد فقيرة لا تستطيع تموين أهلها الا بمشقة كبيرة ، ومع ذلك زاحمهم

الاجانب فيها .. وهذا هو الخطر العظيم الذي يجب على الحكومة وضع حد له

كذلك يجب على حكومة فلسطين وضع حد للاستعمار لان الاهالي في خطر من كثرة المهاجرين الاجانب الذين زاحموا السكان بالاموال والمناكب في زراعة الارض وانشاء معامل للالبان وتقطير الخمور والاتجار بالفاكهة . ومع ذلك فصادرات فلسطين أقل من وارداتها ولكن نظام المهاجرة أفسد على بعض الناس اعمالهم ، وسيأتى اليوم الذي يجد فيه الفلسطيني نفسه عبداً الاستعمار ، لان عدد المهاجرين الذين يأتون الى البلاد يزيد على ما تتحمله البلاد منهم . ثم ان الحكومة تمنع بعض محصولات البلاد عن الخروج منها لكي تهبط اثمانها ويضطر أصحابها من أهالي البلاد لبيعها بأثمان بخسة . فيتلقاها المهاجرون لقمة سائغة وتنتقص بذلك قيمة المحصولات فتزيد الواردات على الصادرات بطبيعة الحال

وهل الحكومة ـ التي يقول فخامة مندوبها السامي لبعض وجوه البلاد واعيانها : ان جمعية الامم قد صدقت على صك الانتداب وانه أصبح نافذاً وان حكومة جلالة الملك لا تزال مصرة على تأييد وعد بلفور وليست براجعة عنه ولا يمكن ان تغير شيئاً من الدستور الذي سنته ـ تنظر الى هذه المسألة نظرة

صحيحة فتخفف عن الاهالي ضرر المهاجرة والضرائب الكثيرة حتى تهدا البلاد وتهدأ ثائرتها . ومن الحكمة والعدل معا ان تبادر الحكومة الى توزيع الاراضي التي كان يملكها السلطان عبد الحميد وأراضي بيسان وغيرها بين الاهالي توزيعاً عادلا فلا يصح ان يخص الغريب بكل مزية وان يترك الآخرون وهم ابناء البلاد بلا عناية ولا اهتمام

* * *

بعد ان يترك القطار خان يونس الى رفح وهو قادم من حيفا تنبسط الارض الرملية ويظهر النخيل . ويرى الراكب الى جهة اليمين لوحة بيضاء كتب عليها بالانكليزية والعربية : فلسطين — مصر . وعند هذه العلامة تبدأ الحدود ، ولا يوجد علامة تدل عليها الا جماعة من عمال (الدريسة) المصريين وعمال المحطات . فاذا استأنف القطار سيره الى محطة جابر أمير والعريش يرى عمال الباسبورت يطلبون من المسافرين جوازات سفرهم للاطلاع عليها فاذا وجدوها كاملة ختموها بخاتم كتبت عليه كلمات بالانكليزية فقط . ولكنهم يقومون بهذا العمل امام الراكب لا كما يفعل عمال الجوازات من الحمة الى حيفا . أو من دمشق الى درعا . اذ يأخذون الجوازات الى مكاتبهم لختمها وتبقى معهم مدة من الزمن يخشى الراكب فيها على جوازه من الضياع

أو من استبداله بغيره . كما حدث لليوناني الذي ذكرنا قصة جواز سفره في صفحة ١٨٢

* * *

حملنا من وجود الاشقياء من الاجانب في مصر عبئاً ثقيلا — لعدم وجود نظام للمهاجرة — ألقي على عاتق السكان أولا والبوليس ثانياً . وعرض الاهالي لمشاكل كثيرة وكبيرة لان بعضهم اتخذ التعرض لتنفيذ الاحكام النهائية الصادرة من المحاكم الاهلية صناعة لهم بعد اتفاقهم مع المحكوم عليهم لا يقاف التنفيذ لقاء مصلحة مالية يتقاضونها منهم ، ويضطر صاحب الدعوى لعمل استرداد امام المحكمة المختلطة بعد ان يكلف نفسه دفع الرسوم واتعاب المحامي . وطالما تعدى بعضهم على الاملاك الثابتة والمنقولة في مصر وسائر الاقاليم باغتصابها . أو مبيع اخشابها وانقاضها ، والتعرض للمالك في حرث أرضه أو ريها ، برفع راية أجنبية أو ترك قبعة ! ولو في موضع النزاع وهلم جرا

وطالما رددت الصحف شكوى الناس من هؤلاء الافاكين وتجار الشر والفساد والمعتدين على الانفس والاموال . ولما طغى سيل المهاجرة في مصر اقترح حضرة ابراهيم بك سيد أحمد عضو الجمعية العمومية عن الاسكندرية عام ١٩١٠ (عضو مجلس الشيوخ الآن) وضع قانون للمهاجرة وايقافها عند حدها . واشتركت

معه الصحف في هـذه المسئلة وطلبت تنفيذ الاقتراح . ولكن الحـكومة تركت حبل المهاجرة على غاربها حتى انتهت الحرب وانتقلت مصر من حال الى حال فتنبهت الحـكومة الى ضرر المهاجرة ووضعت انظمة جديدة منعت فيها دخول الاجنبي الى القطر المصري الا اذا كانت له مصلحـة في مصر أو كان من الاشخاص الذين تنتفع منهم البلاد ومعـه جواز سفر من بلاده وان تكون سيرته مرضية .

وعلى ذكر الجوازات والتأشير نلاحظ ان المصري اذا ركب من القنطرة الى حيفا يطلب منه جواز سفره قبل ان يبرحها مع انه في بلاده . والمفهوم ان الحدود في رفح وان سكة حديد سينا العسكرية واقعـة في بلاد مصرية حتى رفح . فيجب الغاء هذه الطريقة : لكي لا يطلب من المصري جواز سفره الا اذا ترك حدود بلاده . كذلك نرى ان الجمارك في القنطرة الغربية تتقاضى رسم جمرك من المسافرين في سكة حديد سينا العسكرية . ولا يفوتني قبل ان اختم هذه المقالات ان اثني على شركة مصايف لبنان ولا سيما مديرها في القاهرة حضرة الفاضل وديع أفندي سـعد وسائر عمالها في المحطات خصوصا في القنطرة وحيفا وبيروت فانهم يبذلون عنايتهم لخدمة المصطافين وراحتهم

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات

وبعد فقد انتهى بي المسير هنا في رحلتي هـذه التي أجبت بها داعي الله سبحانه : « قل سيروا في الارض فانظروا . . » ، واستننت فيها بسنـة السلف الذين شاركوا قومهم فيما شاهدوه بأنفسهم من احوال البلاد وأخلاق العباد ، فدوّنوا ذلك في الاسفار ، وخلدوه مع الأدهار . وقد اختصصت برحلتي جارتنا ذات اليمين، لأنها جمعت بين قدسية البقاع وجمال الطبيعة وتنوع مشاهدها ، وبين اشتراكها معنا في اللغة والقومية والدين ، وقديماً كانت واحدة ألفت العربية والاسلام بينهما ، فجاءت المصائب المشتركة والاواصر المشتبكة تؤكدان الآن ذلك الاتحاد

من أجل ذلك رأيت أن من ذميم الاهمال اهمال الاقطار الاسلامية سنة التعارف والتزاور ، ولعل من أظهر مظاهر ذلك اهمال المصري قضاء أشهر الصيف أحياناً في ربوات سوريا وبين غياضها ،وخمائل رياضها ، وأمام أنهارها ، في عبير أزهارها

فدفعتني تلك الرغبة الى قضاء حق الدين والدنيا ، برحلتي هذه الى فلسطين ولبنان وسوريا . وعسى أن أكون قضيت حق الادب والمصلحة العامة أيضا بتدويني رحلتي بين هاتين الدفتين . والله من وراء القصد ؟



صورة الصخرة المعظمة

صورها الصهيونيون ، وفوقها تاج صهيون والرموز العبرانية
دلالة على آمالهم في الاماكن المقدسة الاسلامية



ظهور الشوير